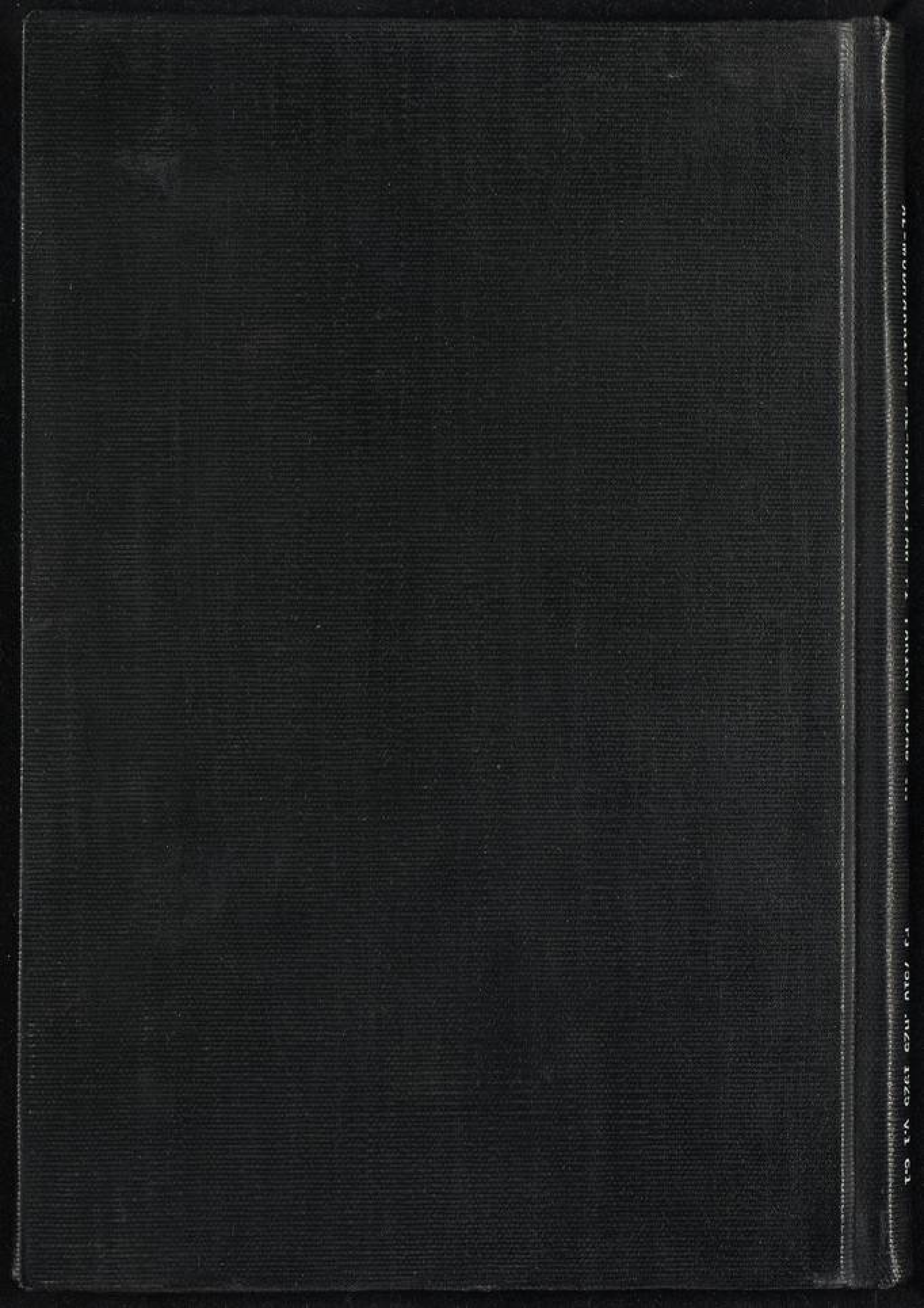
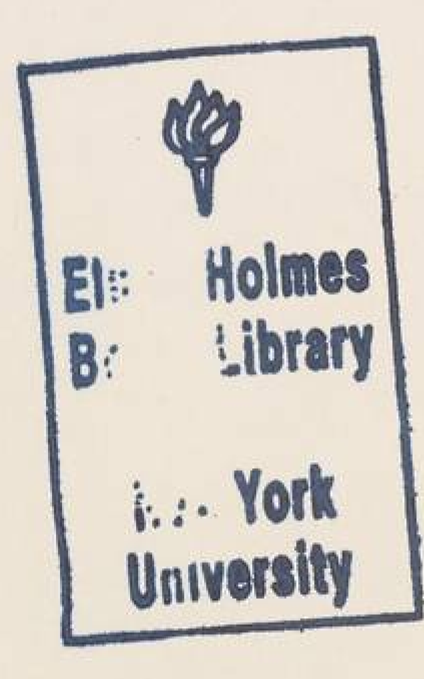
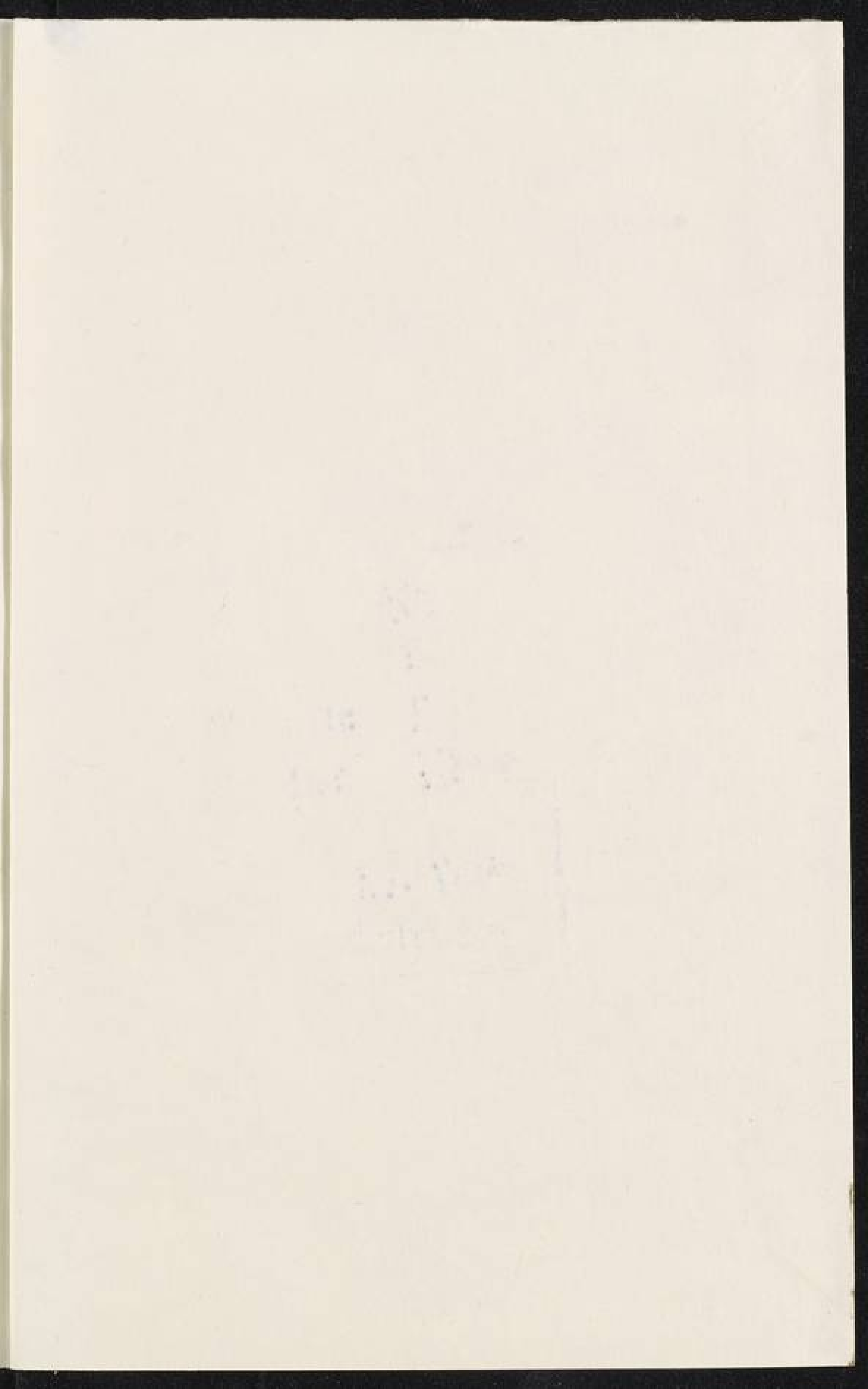
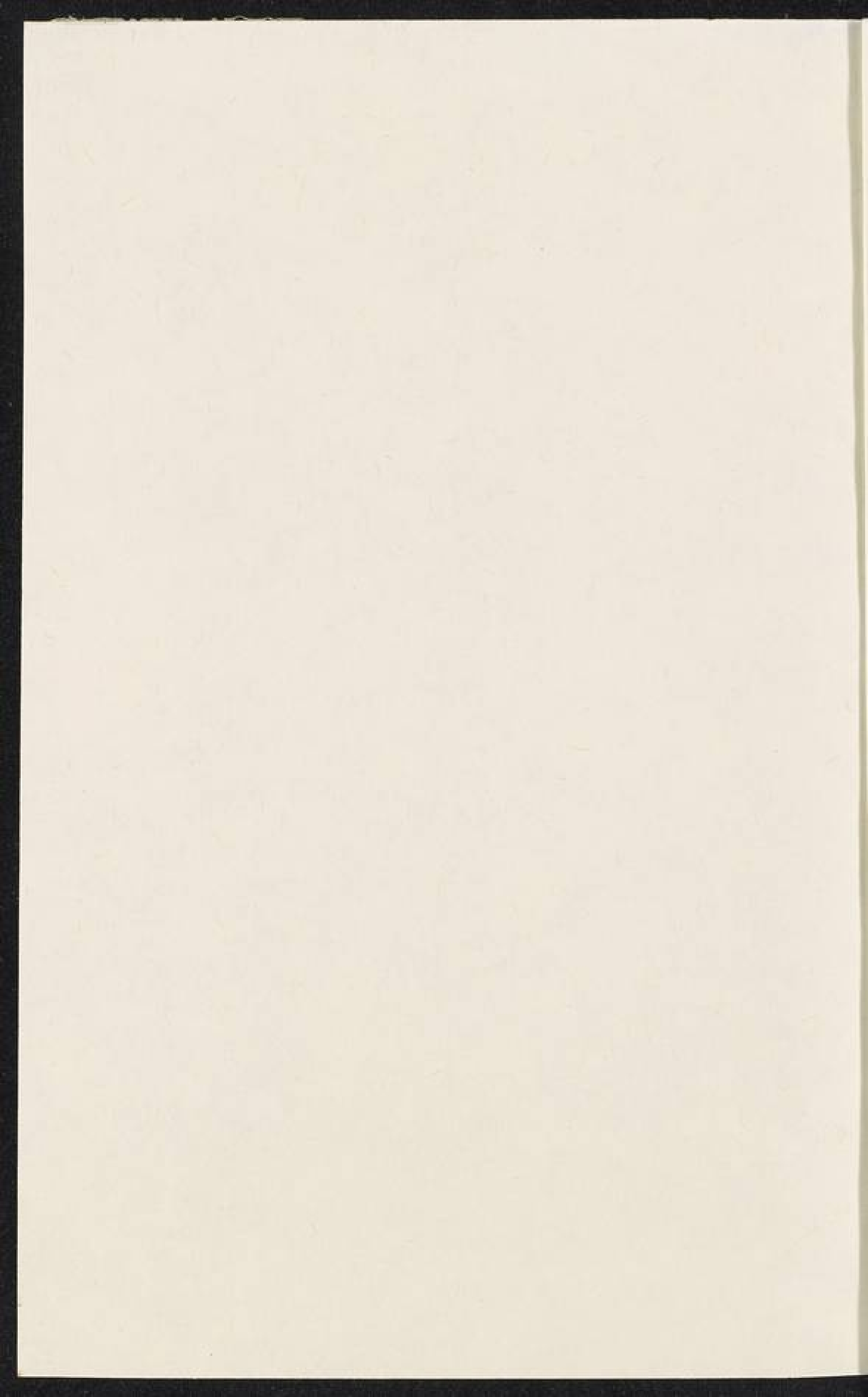


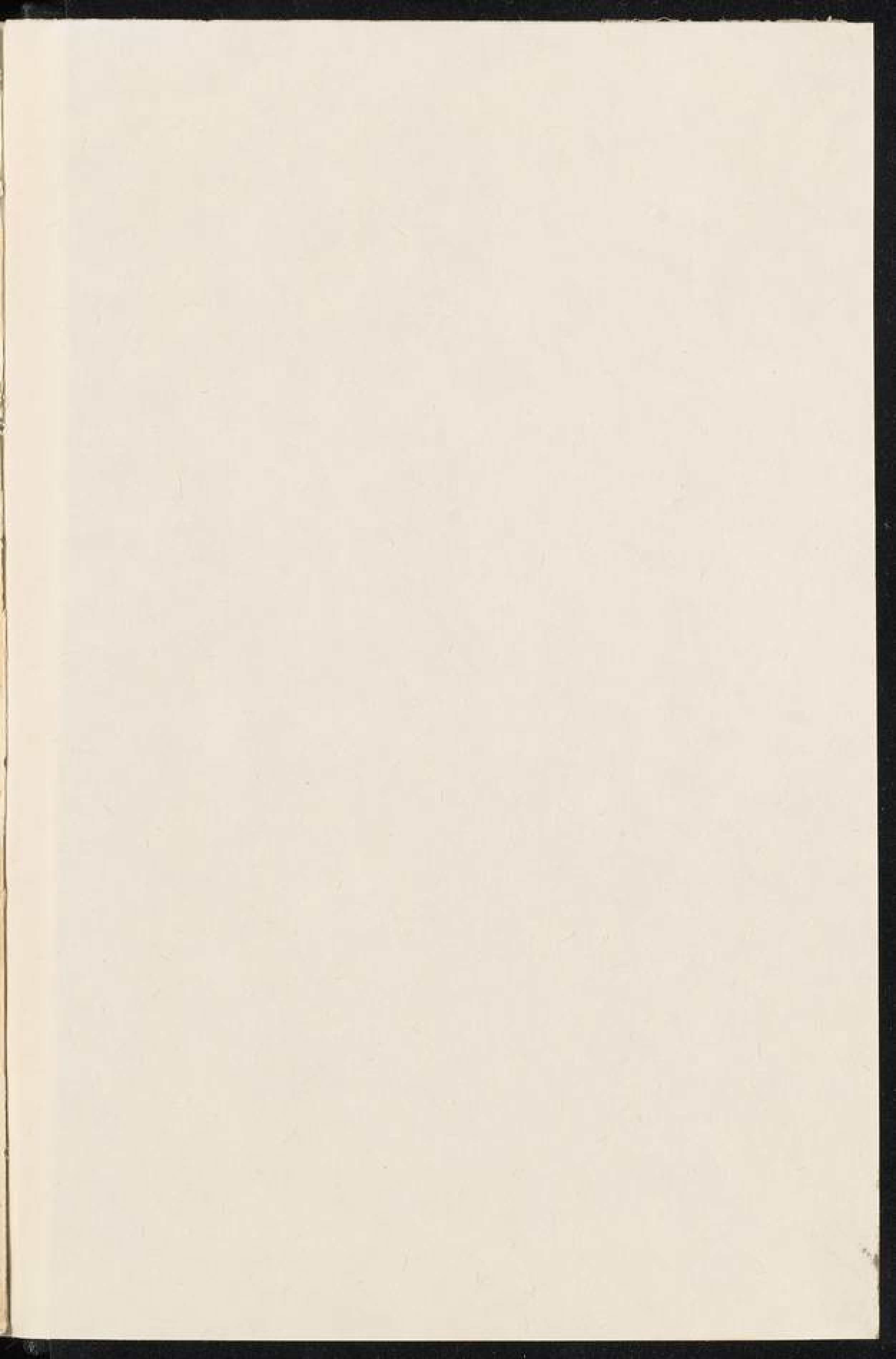

BOBST LIBRARY
3 1142 01699 5246


Holmes
Library
York
University









المذكرات الحامدية

في

تاريخ أدب اللغة العربية

تأليف

شيخ المعلمين

الاستاذ

علي حامد

المدرّس بمدرسة المعلمين العليا

الجزء الأول

« الطبعة الثانية »

١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م

المطبعة السلفية – بمصر

لصاحبيها: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

بسم الله الرحمن الرحيم

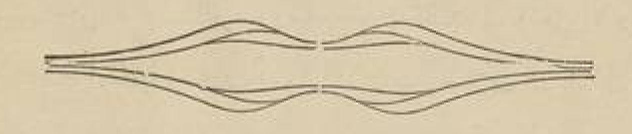
الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أفصح العرب والعجم ، الذى أعطى جوامع الكلم ، وشُرِّف بأمر الله سبحانه وتعالى « اقرأ وربك الأكرم ». وعلى آله وصحبه اعلام الهدى ومصادر العرفان وموارد المراشد والحكم ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ما أشرق كوكب ونجم

أما بعد فيقول مولى العلى الكبير ومولى الآلاء والمحامد ، على بن حامد الزنيني نسباً الدشطوطى ولادة القاهري مربى واستفادة وإفادة : هذه مجموعة فى تاريخ آداب اللغة العربية وما اعتور تلك الآداب واللغة من الأحوال ومقتضياتها فى العصور المتوالية . وفق آخر منهاج قرر لمدرسة المعلمين العليا تحريتُ فى جمعها الصواب واخترت لها من آراء العلماء والأدباء الألباب ، وسلكت فى ترتيبها سبيل نفع الطلاب ، واقتصرت من نظرىّ الفن على ما يفيد الالمام به على طريق الايجاز بدون إخلال وأكثرت من أمثلة المنظوم والمنثور ، لأعلام مختلف العصور ، لما رأيت من أن جل المنتظمين فى سلك المتأدبين فى حاجة ماسّة الى مادة بليغة يحصلونها ويجيدون فهمها فتكون عوناً لهم على إجادة التعبير وإحكام التحبير ، ويمثلونها فيما يريدون من المعانى تأديتها وفق أساليب العرب ومناحى جهابذة الكتاب وأهل الأدب ، وليتبينوا من هذه النماذج أنفسها اختلاف أحوال الآداب باختلاف السياسات وتباين نزعات أرباب الدول والحكومات . وليقفوا على ما عرض لها فى الأزمنة المتتابعة من إقبال أو إغفال . ولم أر وسيلة الى هذا الغرض إلا نهج هذا المنهج ، فأفادتْ بحمد الله ما إليه قصدت (بتدريسها) وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت .

وقد اطلعت عند اعتزامي جمعها على كثير من عُمَد الكتب القديمة وبعض مذكرات الفضلاء الحديثة فى تاريخ آداب اللغة العربية (أنظر فهرس المراجع) وانتقيت منها ما راق لى انتقاؤه . وهذبت منه ما رأيت تهذيبه وأضفت اليه ما استنبطت من مقتضيات الأحوال لتكون « المجموعة » مجمعاً للفوائد، ومقيداً للشوارد ، ومنهلا عذباً لورّاد شرعة الآداب على اختلاف درجهم وتفاوت مراتبهم ، وسميتها « المذكرات الحامدية فى تاريخ آداب اللغة العربية »

والله أسأل أن يُعَمِّمَ النفع بها ويفيض عليها من القبول ما تمد به من حميد مآثر دولة مليكنا المفدّى مولانا صاحب الجلالة فؤاد الأول أطال الله حياته ممتعاً بالصحة والعافية وأحظى الأمة بدائم عدله . وأقر عينه بنجابة سمو ولى عهده . وأدام توفيقه ووزراء دولته الفخام ورجال مملكته العظام لما فيه خير البلاد ورفاهية أهلها . هذا وأرجو ممن يعنى بمطالعة هذه المذكرات أن يتفضل بافادتى ما يراه مكملا لها مفيداً للأدب وأهله ، لأضمنها إياه بعدُ — منسوباً إليه — وله منى جزيل الشكر والثناء ومن المولى جل وعلا خير الجزاء ؟

على حامد





(حد) تاريخ أدب اللغة

التأريخ كالتوريخ لغة مطلق التوقيت يقال أرّخت الكتاب وورّخته تأريخاً وتوريخاً (أى وقته) واصطلاحا مضافاً الى ما بعده ما يعرف منه توقيتُ الأحوال التى اعتورت الأدب وما استدعى تلك الأحوال في العصور المتتالية ونشأةُ اللغة وتدرجُها وما طرأ عليها وما اختصت به من المزايا ومقدار الحياة العقلية والبيانية فى المتكلمين والكاتبين بها فى عصورها المختلفة .

﴿موضوعه﴾

وموضوعه الكلام العربى منظومه ومنثوره من حيث ماطرأ عليه من الاحوال وما اختص به من المزايا .

﴿الغرض منه﴾

والغرض منه الوقوفُ على ما للقوم من حكم وأمثال وخطب ووصايا وغير ذلك من فنون المنثور ومن نسيب ومدح وفخر وتأديب وغير ذلك من فنون الشعر والاطلاعُ على ما كان لهم من عادات وآداب وعلوم وصنائع ومعايش وغير ذلك من مميزات الأمم بعضها عن بعض .

﴿غايته﴾

وغايته تحصيل ملكة النقد والموازنة بين نوابغ الشعراء ومداره[1] الخطباء وبلغاء الكتاب

---

(١) جمع مدره كمنبر المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال والسيد الشريف

(هذا) وتاريخ ادب اللغة تابع للسياسة أوالدين فى كل امة لأن الاحوال السياسية أوالدينية تكون عادة عامة وهى إما أن توجه الافكار وتحول الميول الى مزاولة المعارف واما أن توقف الحركة الفكرية بما يلحق السياسة او الدين من الوهن ، يدلك على ذلك ارتقاء اللغة العربية تبعا لقوة الملك والدين فى صدر الاسلام والدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ثم انحطاطها تبعاً لضعفها فما بعد هذه المدة .

﴿ عصور أدب اللغة ﴾

هى سبعة :

(١) عصر الجاهلية الثانية [1] وينتهى بظهور الاسلام

(٢) عصر صدر الاسلام وينتهى بقيام الدولة الأموية

(٣) عصر الدولة الأموية وينتهى ببزوغ شمس الدولة العباسية

(٤) عصر الدولة العباسية شرقا وغربا وينتهى فى الشرق بإغارة التتار على بغداد سنة ٦٥٦ وفى الغرب باغارة الاسبانيين على الاندلس وتمزيق شمل الدولة العربية

(٥) عصر المغول وينتهى سنة ٩٢٣ ﻫ

(٦) عصر الدولة العثمانية — وينتهى سنة ١٢٢٢ ﻫ

(٧) عصر المغفور له محمد على باشا الى الوقت الحاضر ويبتدىء سنة ١٢٢٢ ﻫ

﴿ الادب ﴾

معناه لغة الظَرف وحسن التناول وهو مصدر أَدُبَ يأدُب أدباً فهو أديب اذا ظَرُف وحَسُن تناوله كأرُب يأرُب فهو أريب اذا كان ذا دهاء وبَصَر بالأمور . اﻫ (من لسان العرب) وفى اصطلاح الكتاب والشعراء حفظُ أشعار العرب وأخبارها

---

(١) انما قيدت الجاهلية بالثانية لان الحكم على ما تقدم من أحوال الجاهلية الاولى مبنى على الحدس لمرور الدهر الطويل عليها وانقطاع سلسلة أخبارها

والاخذُ من كل فن بطرف من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونُها فقط وهى القرءان والحديث فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها . اه

(ابن خلدون)

﴿ أركان الادب ﴾

وأركانه كما قال بعض الشيوخ أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قُتَيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين فى ذلك كثيرة كالعقد الفريد لابن عبد ربه والاغانى للاصفهانى وخزانة الأدب للبغدادى . (هذا) وكان الغناء فى الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحاً فى العدالة والمروءة وقد ألف القاضى أبو الفرج الاصبهانى (وهوماهو) كتابه فى الاغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء فى مائة الصوت التى اختارها المغنون للرشيدفاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب ولعمرى إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والغناء والتاريخ وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التى يسمو اليها الاديب ويقف عندها . اه (ابن خلدون)

أقول اذا كان كتاب الاغانى على ماوصفه فهو جدير بأن يعد من أهم أركان الأدب الآن وكذا كتاب العقد الفريد .

﴿ ثمرة الأدب ﴾

قال العلامة ابن خلدون هذا العلم لاموضوع له ينظر فى إثبات عوارضه أو نفيها

وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم [1] فيجمعون لذلك من كلام العرب ماعساه تحصل به الملكة من شعر عالى الطبقة وسجع متساو فى الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة يستقرئ منها الناظر فى الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به مايقع فى اشعارها منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ألاّ يخفى على الناظر فيه شىء من كلام العرب وأساليبها ومناحى بلاغتها اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع مايتوقف عليه فهمه .

﴿ فضل الأدب ﴾

قال بُزُرجِمهر : من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا . وبَعُد صوته وان كان خاملا . وساد وأن كان غريباً . وكثرت الحاجة اليه وان كان فقيرا

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : تأدبوا فان كنتم ملوكا برزتم وان كنتم اوساطا فقتم وإن اعوزكم المعاش عشتم

وقيل : عليكم بالادب فانه صاحب في السفر ومؤنس فى الحضر وجليس فى الوحدة وجمال فى المحافل وسبب الى طلب الحاجة

وقيل : من أراد السيادة فعليه بأربع ، العلم ، والأدب ، والعفة ، والأمانة .

وقال ابو نواس : ما استكثر أحدٌ من شىء إلا مله إلا الأدب فانه كلما استكثر منه كان أشهى له وأخف عليه

وقال الاصمعى : قال لى أعرابى : ما حرفتك ؟ قلت الأدب . قال نعم الشىء فعليك به فانه ينزل المملوك فى حد الملوك

وقال ابوعمرو بن العلاء : قيل لمنذر بن واصل : كيف شهوتك للأدب ؟

---

(١) جمع منحى

فقال: أسمع للحرف منه لم أسمعه فتود اعضائى أن تكون لهـا أسماع تتنعم مثل ماتنعمت الأذن. وكيف حرصك عليه: قال: حرص المجوَّع الممنوع على بلوغ لذته فى المـال

وقال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً	يغنيـك محمـوده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا	ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال آخر:

كم من خسيس وضيع القدر ليس له	فى العز أصل ولا ينمى إلى نسب
قد صار بالادب المحمود ذا شرف	عال وذا حسب محض وذا نشب

وما أحسن قول بعض الاعاجم:

مالىَ عقلى وهمتى حسبى	ما أنا مولى ولا أنا عربى
إذا انتمى منتم إلى أحد	فاننى منتم إلى أدبى

﴿أنواع الدلالات على المعانى﴾

إعلم أن أنواع الدلالات على المعانى خمسة: الألفاظ والاشارات والعقد والخط والنُّصبة (وهى الحال التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تُقصّر عنها) ولـكل منها صورة مباينة لصورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية اختها.

(١) فأما الالفاظ فهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن اجناسها وأقدارها وعن خاصـها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطا مطَّرحا وقد قيل البيان بصر والعِيّ عمى كما أن العلم بصر والجهل عمى والبيان من نتائج العـلم والعى من نتائج الجهل وقيل حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيـان وقد نوه الله سبحانه وتعالى به فى الـكتاب العزيز فقال: « الرحمن علم القرآن خلق الانسان

علمه البيان »

(٢) وأما الاشارة فهى شريكة اللفظ ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط وفى الاشارة رفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها بعض الناس عن بعض ويخفونها عن الجليس . والاشارة تكون باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب اذا تقارب الشخصان وبالثوب والسوط والسيف وغيرها اذا تباعدا . ومن ذلك تعلم أن مبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذى يقوم به تقطيعه وبه يوجد التأليف

(٣) وأما الخط فكفاه شرفا أن الله سبحانه وتعالى علم به الانسان مالم يعلم مما ينفعه ويحتاج اليه فى دنياه وآخرته وقد ذكر سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فضيلة الخط ومِنّة الانعام بمنافع الكتاب فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم « اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقد اقسم به سبحانه وتعالى فى كتابه المجيد فقال « والقلم وما يسطرون » وقد قيل القلم احد اللسانين . ومما يبين مزيد فضله ان اللسان مقصور على الحاضر والقلم مطلق فى الشاهد والغائب

(٤) وأما العقد فهو الحساب والدليل على فضله وعظيم قدر الانتفاع به قول الله عزوجل « الشمس والقمر بحسبان » وقوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » الى غير ذلك من الآيات الدالات على عظيم فضله . ولولا معرفة العباد معنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله سبحانه وتعالى معنى الحساب فى الآخرة

(٥) وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص . وقد قيل سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حِوارا أجابتك اعتباراً .

الكتابة

الكتابة فى اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتبا وكتاباً وكتابة وكِتْبَة فهو كاتب ومعناها الجمع . وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى « أم عندهم الغيب فهم يكتبون » اى يعلمون وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه لأهل اليمن حين بعث اليهم مُعاذاً وغيره (إنى بعثت اليكم كاتبا) أراد عالما سمى بذلك لان الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علماً ومعرفة

وفى الاصطلاح صناعة رُوحانية تظهر بآلة جثمانية (روحانية ، يراد انها متعلقة بالالفاظ التى يتخيلها الكاتب فى أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة فى نفسه ، والآلة الجثمانية يراد بها القلم الذي يخط الخط) اه من صبح الاعشى باختصار

وقال ابن خلدون:

الخط رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس فهو ثانى مرتبة من الدلالة اللغوية

وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الانسان التى يُمَيَّزبها عن الحيوان وأيضا فهى تُطلع على ما فى الضمائر وتتأدى بها الاغراض إلى البلد البعيد فتقضى الحاجات وقد رُفعت مؤونة المباشرة لها ويُطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم ، فهى شريفة لهذه الوجوه والمنافع

وخروجُها فى الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغى فى الكمالات والطلب ، لذلك تكون جودة الخط فى المدينة . اذ هو من جملة الصنائع التى هذا شأنها والتى هى تابعة للعمران . ولهذا نجد اكثر البدو أميين لايكتبون ولا يقرءون ومن قرأ منهم أو كتب يكون خطه قاصرا وقراءتهُ غير نافذة ونجد تعليم الخط فى الامصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغَ وأحسن وأسهل

طريقاً لاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً فى وضع كل حرف ويزيدون على ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحس والتعليم وتأتى الملكة على أتم الوجوه

وقد كان الخط العربى بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميرى وانتقل منها الى الحيرة لما كانت بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة فى العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور مابين الدولتين ومن الحيرة لُقِنَهُ أهل الطائف وقريش . يقال ان الذى تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدرة

وكانت لحِمْيَرَ كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتنميق وكان الخط العربى لدول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة وبعدهم عن الصنائع

ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان إلا أنها كانت دون الغاية . والخط الكوفي معروف الرسم لهذا الوقت

ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقيّة والاندلس فانتقل الخط اليها في عصر الدولة الأموية واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران فكانت دارَ الاسلام ومركزَ الدولة العربية وكان

الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد

وتميز مُلك الاندلس بالأمويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدولة الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونَفَقت أسواق العلم وانتُسخت الكتب وأُجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له وتنافس أهل الاقطار في ذلك . اه

بدء الكتابة

وكان بدء الكتابة أو الاشارة الدالة على المراد بتصوير ما تُراد افادته

وكانت الاشارات الصورية على أشكال أشهرها الصور الهيروغليفية (أو القلم المصرى القديم) المشاهدة الى الآن وهذا القلم أرقى الاقلام البشرية القديمة عامة، ثم الاشارات الحيثية التى استعملها الحيثيون قديماً ببلاد الشام ثم الاشارات الصينية التى لمَا تزل مستعملة ببلاد الصين مع تغيرٍ عرض لها لم تخالف بهصورها القديمة مخالفة تامة ثم الاشارات الاشورية وتعرف بالفينيقة أو السِنانية أو المسمارية أو السفَنيَّة نسبة إلى أشكالها إذ منها ما كان على صورة سنان الرمح ومنها ما كان في صورة المسامير ومنها ما كان على صورة السفينة

ثم تحولت هذه الاشارات إلى اشارات أخرى بينها وبين الاولى مناسبة وهى الاشارة إلى الصورة برسم أول مقطع من مقاطع ما تدل عليه واستنبط ذلك من اختلاف صور الكتابة الهيروغليفية المصرية . مثلا صورة الرجل المسلح كان معناها العدو فاستبدلوا بها ع ١ م عد

وقد كان التغير بدء تحول الكتابة المصرية القديمة إلى أخرى سموها الهيراتية ثم الديموطيقية التى كانت بمنزلة تمهيد لوضع الكتابة الحرفية أو الهجائية . ويظهر أنه فى هذا الوقت الذى حصل فيه هذا التحول فى القلم المصرى حصل تحول فى نظيره فى

الاشارات الفينيقية

ووُفق الفينيقيون لاختراع الكتابة الحرفية قبل المصريين على أنه قيل إن الكتابة الهيرانية المصرية هي أصل الكتابة الحرفية أو الهجائية التى وفق لها الفينيقيون قبل المصريين وأخذها عنهم غيرهم وهو معقول . ذلك أن الفينيقيين كانوا معاصرين للكلدانيين في أُوْر (بالضم ثم السكون وآخره راء من اصقاع رامُهرمُز بخوزستان) وللبابليين في بابل والاشوريين في أشور والمصريين في وادى النيل وللحميريين في اليمن ولليونانيين في جزر اليونان ولغير هؤلاء من الامم التى كانت لها مدنية أيام الفينيقيين وكانوا يسكنون سواحل سوريا قبل الميلاد بنحو ألفى سنة وكانت مهنتهم الملاحة (لسكناهم السواحل) التى ساعدتهم على الوصول الى البلاد والامصار رغبة فى الاتجار أو الاستعمار فكانوا يمرون على البلدان والامصار والاقطار وبخاصةما على شواطئ البحار ومن بينها البلاد المصرية. ولتحقيق هذه الرغبة رأوا وجوب نهج طريق موصل اليها يكفل سهولة معاملة المصريين باتخاذ كتابة سهلة فأخذوا بعض الصور الهيرانية المأخوذة من الاشارات الهيروغليفية المصرية ثم تصرفوا في رسمها ووضعها حتى يكون تناولها اسهل . واجتمع لديهم على توالى الايام والبحوث اثنان وعشرون شكلا وضعوها لمقاطع وحروف لغتهم وسموها أسماء تدل على شكلها . وبهذه الطريقة كانت لهم الحروف الهجائية الفينيقية وكان ذلك قبل الميلاد باكثر من خمسة عشر قرناً . ويقال إن الفينيقيين علموا اليونان هذه الطريقة بوساطة « قدموس » ملك الفينيقيين في القرن السادس عشر قبل الميلاد وعُرفت وقتئذ بالخط اليونانى ثم علموها الاشوريين وعُرفت بالخط الآرامى ومن الخط اليونانى اشتقت عامة الخطوط الافرنجية المتداولة الآن باوربا وأمريكا ومن الخط الآرامى اشتقت عامة الخطوط الشرقية المنتشرة بآسيا وافريقية ومنها الكتابة السطرنجيلية التي اشتق منها الخط العربى الكوفي ومنها أيضاً الكتابة النبطية التى

اشتق منها خط النسخ العربي

واجمال القول أن البحوث الحديثة أوصلت الباحثين الى أن الفينيقيين هم الذين سبقوا الى وضع الكتابة الحرفية وعنهم أُخذت وأما الكتابة نفسها فقديمة ويدل على قدمها صحف شيث وغيرُها بل هي داخلة في تعليم آدم الأسماء

﴿ طريقة الكتابة عند الامم ﴾

قد اتخذت كل أمة طريقة خاصة بها في كتابتها فطريقة الصينيين في الكتابة البدء من أعلى الى أسفل ومن اليمين الى اليسار (قيل لاعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى في السماء — تعالى الله عن ذلك — وأن كل شيء يأتيهم من جهته فجعلوا الكتابة من أعلى الى أسفل إشارة الى هذا الاعتقاد) وطريقة السريانيين والعرب والفرس البدء من اليمين لان أغلب الاعمال تُزاول باليمين وقيل لان الانتقال من جهة الى اخرى يبدأ بالرجل اليمنى . وطريقة الاوربيين البدء من اليسار قيل لأن الدورة الدموية تبتدئ من القلب الذي مسكنه الجهة اليسرى

﴿ أدوات الكتابة ﴾

هي القلم والحبر والمكتوب فيه وقد تطورت بتطور الكتابة في الازمنة المتعاقبة وأطوارها ثلاثة

الاول — أيامَ كانت الكتابة صورية رمزية وفيه كان قلم الكتابة المسمار والمنقار (الازميل واللازم) والمكتوب فيه الصخور والتماثيل

الثاني — أيام كانت الكتابة مقطعية وفيه استبدلوا بالمنقار والمسمار القصبَ وريشَ بعض الطيور . والمكتوب فيه الرق والمُهْرق وعظام الحيوان وصفائح الخشب والنحاس والرصاص وأوراقَ الاشجار والمادة التي كان يكتب بها في هذا الطور وما يليه مادة سائلة هي المداد وقد اختلفت أحوالها باختلاف الأزمنة والأمكنة والآراء والأذواق

الثالث — أيام كانت الكتابة حرفية وفي هذا الطور استعملوا اليراعَ المأخوذ من أجود القصب المسمى بالفارسى والبسط والريشَ المصنوعة من الحديد أو الفضة أو الذهب والمكتوب فيه في هذا الطور الكاغد (بدل الرقوق وأوراق الاشجار وعظام الحيوان وصفائح الخشب والنحاس والرصاص)

ولما استبحر العمران وكثرت حاجاته واستدعى ذلك كثرة الكتابة كثرةً تلائم تلك الحاجات ورئى أنه من المتعذر سد تلك الحاجات بالأيدي الكاتبة فكر المفكرون فيما يسد تلك الحاجات فوصلوا إلى اختراع المطبعة وتنوعها

﴿ التدرج فى تحسين الكتابة ﴾

بعد أن تميزت الامم باللغات والكتابات لم يُبقوا الرسوم الكتابية على حالها الاصلية بل غيروا صورها على ما اقتضاه رقى العمران ثم تواضعوا على رسم الكلمات بصور وفق قوانين فنية دُونت وعُرفت وأعملوا مهارتهم فى إتقان أشكالها وإحكام رسومها حتى وصلت إلى مانراها عليه الآن . واختُرعت الأقلام المختلفة فى عصر الدولة العباسية ، فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف — وهذه التسمية لوحظ فيها استقامة ثلث الحروف أو ثلثيها أو نصفها — وغيرها من الأقلام واستمر الخط آخذاً طريق الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغداد الوزير الكاتب أبو على محمد بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ واخترع نوعاً من الخط سمى بالخط البديع ، وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم . نقله ابن مقلة عن الخط الكوفى . ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين على وجود النسخ قبل زمن ابن مقلة كما شاهدوا ذلك فى بعض الصحف والرسائل التى كتبت قبل ظهور ابن مقلة . والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعاً بل تصرف فيه تصرفاً بديعا ونقله إلى صورة امتاز بها عن أصله فى الجودة والحسن . وكان ابن مقلة يضرب به المثل فى حسن الخط . وتلاه فى ذلك ابو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة ٤٢٣ وقد أقرّ له أهل زمانه

بالسبق وعدم المشاركة في حسن الخط وهو الذى هذب الخط العربى ونقحه بعد ابن مقلة . ثم ان الخط الكوفى أُهمل بتوالى الأيام وحل محله خط النسخ . وقد افتن الترك فى تحسين الخط وتنويعه . فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث الى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن

والخط العربى منتشر فى البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وماحولها . اه من أدبيات اللغة العربية .

أول كتاب كتب فى صدر الاسلام

هو القرءان الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم وسمى بالكوفى بعد إنشاء الكوفة واستعمل فى عهد بنى أمية مع ترقية فى درجات الحسن تبعا لحضارة الامة . وكان المصحف خاليا من الشكل والنقط . غير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشى على القرءان الكريم من ذلك فقام أبو الاسود الدؤلى ووضع له علامات الاعراب فى أواخر الكلمات بصبغ يخالف لون المداد الذى كتب به المصحف . وجعل علامة الفتحِ نقطة فوق الحرف والضمّ نقطة إلى جانبه والكسرِ نقطة إلى أسفله والتنوينِ مع الحركة نقطتين وذلك فى خلافة معاوية ثم إن الحجاج فى عهد عبد الملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لاوائل الكلمات وأواسطها وخالف فى ذلك طريقة أبي الأسود الدؤلى لئلا يلتبس النقط بالشكل وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامة الإعجام (الشكل) كالشدة والصلة والقطعة وهذّب جميع العلامات فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفاً مسطوحة فوقه والشدة رأس شين (لعلها سين) والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخذاً من شكال الدابة الذى تقيد به فكأن شكل الكلمات يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف

من الخط فى عصر الدولة الأموية نوعين أحدهما يستعمل فى كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحتاج فيه الى التأنق والاجادة وحسن التنسيق وثانيها يستعمل فى كتابة الرسائل ونحوها مما يطلب فيه الإسراع ولا يحتاج فيه إلى التأنق وزيادة التحسين والنوع الاول هو المعروف بالخط الكوفى وأما النوع الثانى فإنه أصل خط النسخ ارتقى فى الحسن والجودة شيئا فشيئا حتى وصل إلى ما هو عليه الآن اه من أدبيات اللغة .

﴿ اللغة ﴾

اللغة مصدر لغا يلغو أو لغِيَ يَلغَى تكلَّم وأصلها لُغَوٌ حذفت لامها وعوض منها التاء مثل كرة وقلة وثبة وجمعها لُغات ولُغون . ولغة كل قوم أو لِسْنهم أو لسانهم كلامهم الذى ينطقون به لاحد غرضين هما الخبر والطلب . وباختلاف اللغة والالسنة صار الناس أمماً تقول أمة العرب وأمة الفرس وأمة الروم وهكذا لان لكل جماعة من هؤلاء لسانا تعارفوه وانتفعوا به وتعلمه الأبناء عن الآباء فى الازمنة المتتابعة

نشأة اللغة : هذه المسئلة تشعبت فيها آراء العلماء فمن قائل إن اللغات كلها توقيفية وإلهام من الله عز وجل . ومن قائل إنها من وضع البشر ومن قائل إن بعضها توقيفى وهو مايحصل به التواطؤ وبعضها وضعى وهذا هو القريب المعقول . وللآن لم يوقف تماما على أن أى اللغات أصل لباقيها . ومما لا ريب فيه أن الانسان الأول كانت له لغة يستعملها . وتعيينها موضع الخلاف .

اختلاف اللغة : بدأ هذا الاختلاف من تفرق أولاد نوح فى أنحاء المعمورة وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى وقد التمسوا له أسبابا ـ منها اختلاف احوال المساكن واهويتها وتباين تأثيرها فى الانسان واستشهدوا على ذلك بتعذر النطق ببعض الالفاظ على قوم وسهولته على آخرين وهذا لايأباه العقل اذ هو واقع لامرية فيه والله أعلم واليه المرجع .

﴿ نسبة اللغة العربية ﴾

اللغة العربيـة فرع من أرومة تعرف بالأرومة السامية (منسوبة الى سام بن نوح عليه السلام) وهى لغات ذراريه وألسنة نسله . ومن فروع هـذه الارومة اللغات الآتية وهى البابلية القديمة وتعرف بالاشورية أيضاً والآرامية (وهى السريانية) والعبرانية والفينيقية والحميرية والحبشية او الاتيوبية إلا ان العربية من بين هـذه الفروع أمَدُّها أغصاناً وأعلاها جِذْماً وأورفها ظلا وأنضرها أوراقا وأطيبها ثمراً يانعا شهيا . وعلماء اللغات الغربيون يقولون إن أرومة هذه الدوحة السامية تشعب منها فرعان فرع شمالى وفيه اللغة البابلية القديمة والآرامية والعبرانية والفينيقية وفرع جنوبى وفيـه العربية المضرية والسبئية والمهرية والاتيوبية أو الحبشية . والعلامة أرْنِرْ نُولْدِكى وافق على تشعب هذه الارومة الى فرعين الا أنه جعل اللغة البابلية فرعا مستقلا بنفسه وجعل الفرع الثانى ينشعب الى جذمين شمالى وجنوبى وجعل فى الشمالى الآرامية والعبرانية والفينيقية وجعل فى الجنوبى العربية والمضرية والسبئية السقطرية والحبشية او الاتيوبية. اه من الخطاب الذى ألقاه الاستاذ جبر دومط مع قليل تصرف .

﴿ امة العرب[1] ﴾

أمة العرب إحدى الأمم المتميزة بالمساكن والصفـات والعادات والمعايش والعلوم والالسنة . أما أماكنها فـكان أولها أرض اليمن فلما كثروا فى البلاد استقر أمرهم علي سُكْنَى جميع اليمن ودخل فى هذا اليمامة (وهى بين نجد واليمن) وما وليهـا جهة الشمال من تهامة والحجاز ونجد وبعض أرض الشام من جهة الشمال أيضاً ومن جهة الشرق الحيرة وما صاقبها (أى جاورها) ويسمى عراق العرب . هذا وتنقسم بلاد العرب الى خمسة أقسام كبيرة (أولها) اليمن وهو الجزء الجنوبى المحوط بالبحر من

---

(١) العرب مؤنثه وقد يحمل على المعنى فتعامل معاملة جماعة الذكور العقلاء

ثلاث جهات وسمى بذلك الاسم لوقوعه عن يمين الكعبة (ثانيها) تهامة وهى بين اليمن جنوباً والحجاز شمالا (ثالثها) الحجاز وهو الحاجز بين تهامة ونجد وفيه مكة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وكذا المدينة مهاجره . (رابعها) نجد وهى تتصل بالشام شمالا والعراق شرقاً والحجاز غرباً واليمامة جنوباً . (خامسها) اليمامة وهى بين نجد واليمن وتسمى العَروض لاعتراضها بينهما (من تاريخ العرب للمستر فانديك)

أما صفاتها فمجملها ماقاله النعمان بن المنذر ملك العرب رداً على كسرى (أبرويز) ملك الفرس وقد حط من قدرها ووضع من كرامتها وفضل عليها غيرها من الامم وذلك أنه قَدِمَ النعمان على كسرى وعنده وفود الهند والروم والصين وذكروا من بلادهم وملوكهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلها على جميع الأمم لم يستثن فارس ولا غيرها فقال كسرى وقد أخذته عزة الملك : يانعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الأمم فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حكمتها وطبها مع كثرة أنهارها وثمارها وعجيب صناعتها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك الصين فى اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وهمتها فى الحرب وصناعة الحديد وأن لها مُلْكا يجمعها والترك والخزر على مابهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف (الأرض التى تزرع كثيراً) والثمار والحصون وما هو رأس عمارة (حضارة) الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها ، مَحلّتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة (يريد أنه اذا ضاق العيش بقبيلة أغارت على الاخرى فتقتل رجالهـا وتسبى ذراريّها) قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفِر به ناعمهم لحوم الابل التى

يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها. وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة. وإن أطعم أكلة عدها غنيمة. تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم. ما عدا هذه التنوخية [١] التى أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هـذا وإن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً (مايلبس) وقرى وحصوناً وأموراً تشبه بعض أمور الناس.

ثم لاأراكم تستكينون [٢] على مابكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس

قال النعمان: أصلح الله الملك حقٌ لأمةٍ الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها إلا أن عندى جواباً فى كل مانطق به الملك من غير رد عليه ولاتكذيب له. فان أمنّنى من غضبه نطقت به. قال كسرى: قل فأنت آمن. قال النعمان: أما أمتك أيها الملك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة [٣] عزها وما اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التى ذكرت فأىّ أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها. قال كسرى بماذا. قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها. فأما عزها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجُنتهم السيوف وعُدتهم الصبر اذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور. وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة. وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت أباءها

(١) نسبه الى تنوخ حى من العرب أو اليمن واخذه من تنخ اذا أقام وذلك انهم اجتمعوا فتحالفوا فتنخوا (أقاموا) (٢) تخضعون (٣) بحبوحة كل شيء وسطه وخياره

وأصولها وكثيراً من أولها حتى إن أحـدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحـد من العرب إلا يسمى آباءه أباً فأباً حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا أنسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يُدْعى إلى غـير أبيه . وأما سخاؤها فان ادناهم رجلا الذى تكون عنده البكرة والناب « المسن من الابل » عليها بلاغه « كفايته » فى حُموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفِلذة ويجتزىء « يقتنع » بالشربة فيَعْقِرها له ويرضى أن يخرج من دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدونة وطيب الذكر . وأما حكمة ألسنتها فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم اعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزْع [1] ومطاياهم التى لا يُبلغ على مثلها سفر ولا يُقطع بمثلها بلد قفر . وأما دينها وشريعتها فإنهـم متمسكون به حتى يبلغ احدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً وبلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ينْسُكون فيه مناسكهم [2] ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك وِتره فيحجزُه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . وأما وفاؤهم فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الايماءة فهى عقدة لا يحلها إلا خروج نَفْسه وإن أحدهم يرفع عوداً من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلَق رهنه [3] ولا تُخفر ذمته وان أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى اصابته أو تفنى قبيلته لما أُخفر من جواره وإنه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غـير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك

(١) حجر نفيس تتخذ منه العقود (٢) النسك العبادة

(٣) غلق رهنه لم يقدر على فكه

أيها الملك يئدون أولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغَيرة من من الازواج . وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً لهـا فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فـكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً وأطيبها لحوماً وأرقها البانآً وأقلها غائلة[1] واحلاها مضغة وإنه لا شيء من اللُّحمان يعالج بما يعالج به لحمها الا استبان فضله عليه

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلك « الانقياد » من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وإنه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيُلقون اليه أمورهم وينقادون اليه بأزمّتهم . وأما العرب فأن ذلك كثير فيهـم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من اداء الخراج والوطء بالعسف . وأما اليمن التى وصفها الملك فلما أتى جدَّ الملك الذى أتاه عند غلبة الحبشة له على ملك متسق وامر مجتمع[2] فأتاه مسلوباً طريداً قد تقاصر عن إيوانه وصغر فى عينه ما شُيد من بنيانه[3] ولولا ما وَتَر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار

فعجب كسرى لمـا أجابه النعمان به وقال « إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل أقليمك ولما هو أفضل » ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم بعث الى اكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميميين والى الحراث بن عُباد وقيس بن مسعود البكريين والى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلانة وعامر بن الطُّفَيل

---

(١) داءا (٢) جواب لمـا محذوف تقديره حصل ماذكرت

(٣) معنى قوله قد تقاصر... الخ أن هذا الملك كان جل عمله تشييد البنيان ولم يعن بتنظيم جيش ينفعه فى وقت الضيق

العامريين والى عمرو بن الشريد السلمى وعمرو بن معد يكرب الزُّبيدى والحرث بن ظالم المرى . فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها . وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور أو يكون إنما أظهرها لامر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلاً كبعض طماطمته [١] فى تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله . فاقتص عليهم مقالات كسرى ومارد عليه. فقالوا أيها الملك وفقك الله . ما أحسن ما رددت وأبلغ ماحججته به . فمرنا بأمرك وادعنا الى ماشئت

قال : إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يُتخَوَّفُ من ناحيتكم وليس شىء أحبَّ إلىَّ مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا الى كسرى . فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان مترف [٢] مُعْجَبٌ بنفسه .ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الذليل . وليكن أمر بين ذلك تظهر به دمانةُ حلومكم وفضل منزلتكم وعظيمُ خَطَركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي ثم تتابعوا على الامر من منازلكم التي وضعتكم بها فانما دعانى الى التقدمة اليكم [٣] على بحرص كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه . فلا يكوننّ ذلك منكم فيجد فى آدابكم مطعناً فانه ملك مترف وقادر مسلط . ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حُلل الملوك لكل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة . وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مَهْرِيّة وفرس نجيبة وكتب معهم كتاباً :

أما بعد فان الملك ألقى إلىّ من أمر العرب ما قد علم وأجبته بما قد فهم مما

---

(١) جمع طِمْطِم أو طِمْطِمِىّ وهو الاعجم الذى لا يفصح (٢) الترف الاستقصاء فى النعمة (٣) أمركم بما سمعتم

أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج [1] فى نفسه أن أمة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها فى شيء من الامور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدت أيها الملك رهطاً من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم . فليسمع الملك وليُغْمِض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمنى باكرامهم وتعجيل سراحهم . وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم . فخرج القوم فى أهبتهم . ووفدوا على كسرى . وخطبوا بين يديه خطبهم . « انظر العقد الفريد »

الجود والشجاعة والوفاء

الجودُ من بين هذه الصفات كالشجاعة والوفاء . كان له الحظ الوافر من المديح والثناء . هذا والباعث على الجود إما عاطفة الشفقة وإما حب الذكر والثناء وهو تابع لهما قوة وضعفاً فان هما اجتمعا فى انسان دفعاه الى المغالاة فيه وهذا مذهب العقل ويؤيده ما أخرجه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عَدِيّ بن حاتم قال « قلت يارسول الله كان أبى يصل الرحم ويفعل كذا وكذا » قال « إن أباك أراد أمراً فأدركه » (يعنى الذكر) والباعث على الشجاعة صيانة العرض وحفظ الاموال والانفس وطيب الذكر . والباعث على الوفاء ما في النفس من حب الكمال وكسب حسن الاحدوثة . وقس على هذا التماسَ العلل المعقولة للصفات الاخرى

أجواد الجاهلية

الاجواد الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية أربعة نفر : طائيان : حاتم بن عبد الله ابن سعد ويكنى أبا عدِيّ وأباسفانة . وأوسُ بن حارثة ويقال له ابن سُعْدى . ومُرّيّ وهو هَرِم بن سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى . وإياديّ وهو كعب بن مامة . ومن أجواد العرب فى الجاهلية عبد الله بن حبيب العنبرى وعبد الله بن جُدْعان

(١) يتردد

التيمي وقيس بن سعد وعَبَدة الكلبية وقَتادة بن مَسلْمة الحنفي ومطاعيم الريح وأزواد الركب (راجع بلوغ الأرب)

وفي حاتم قال ابن دارة مخاطباً عديّ بن حاتم :

أبوك أبو سفانة الخيرُ لم يزل ... لدن شب حتى مات في الخير راغبا

به تُضرب الامثال في الجود ميتاً ... وكان له اذ كان حياً مصاحبا

قرى قبرُه الاضياف اذ نزلوا به ... ولم يقر قبرٌ قبله قطُّ راكبا

(قوله قرى قبره ـ البيت تلميح الى قصة إن صحت كانت موضع بحث أهل الذكر والمعرفة بأحوال الناس بعد موتهم . وهي أنه مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم فنزلوا قريباً منه فقام اليه رجل يقال له (أبو الخيبَرِيّ) وجعل يركض برجله قبره ويقول اقرنا فقال له بعضهم ويلك ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات قال ان طيئاً تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قراه ثم أجنّهم الليل فناموا فقام أبو الخيبرى فزعاً وهو يقول واراحلتاه فقالوا له مالك : قال أتاني حاتم في النوم وعقر ناقتي بالسيف وأنا أنظر اليها وأنشدني شعراً حفظته وهو :

أبا الخيبرى وأنت أمرؤ ... ظلوم العشيرة شتامها

أتيت بصحبك تبغي القِرى ... لدى حفرة قد صدت[1] هامُها

أتبغي ليَ الذمَّ عند المبيت ... وحولَكَ طيٌّ وانعامُها

فانا سنشبع أضيافنا ... ونأتي المطيُّ فنعتامُها[2]

فقاموا واذا بناقة الرجل تكوس عقيرا فانتحروها وباتوا يأكلون وقالوا قرانا حاتم حياً وميتاً وأردفوا صاحبهم وانطلقوا سائرين واذا برجل راكب بعيراً ويقود آخر وهو يقول ايكم أبو الخيبرى . قال الرجل أنا . قال : خذ هذا البعير أنا عدى ابن حاتم . جاءني حاتم في النوم . وزعم أنه قراكم بناقتك وأمرني أن أحملك فشأنك

---

(١) ويروى صَخِب هامها (٢) نختارها

والبعير ودفعه اليهم وانصرف) ولأوس بن حارثة قال بشر بن أبي خازم :

الى أوس بن حارثة بن لأم ليقضيَ حاجتي فيمن قضاها

فما وطىء الثرى مثلُ ابن ُسعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها [١]

وفي هرم بن سنان قال زهير بن أبي سلمى :

إن البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم على علاته هرم

وقال أيضاً :

قد جعل المبتغون الخير في هرم [٢] والسائلون الى أبوابه طرقا

إن تلق يوما على علاته هـرما تلق السماحة فيه والندى خلقا

ولكعب بن مامة قال حبيبٌ القُشيْري :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود [٣]

والمضروب به المثل هو حاتم وحده (ولعله لكثرة نوادره الجودية)

ومن أخباره أنه كان اذا جنَّ الليلُ يُوعز الى غلامه أن يوقد النار في يَفَاعٍ من الارض لينظر اليها من ضل الطريق ليأويَ الى منزله ويقول :

أوقد فأن الليل ليل قَرٌّ [٤] والريح ياموقد ريح صِرٌّ [٥]

عسى يرى نارك من يمـر إن جلبتْ ضيفاً فأنت حرٌّ

وهو معدود في الاشراف والشجعان والشعراء كما هو معدود في الأجواد ويشبه جودَه شعرُه ويصدق قولَه فعلهُ وكان حيثما نزل عُرِف منزله وكان مُظفَراً اذا قاتل غلب وإذا غَنِمَ أنهب واذا ضرب بالقـداح فاز وإذا سابق سَبق وإذا أسر أطلق . وكان أقسم بالله لايقتل واحد أمه . هذا ويُعدُّ متمماً لصفاته حديثُ ابنته سَفَّانة بين

---

(١) احتذى النعل لبسها (٢) ويروى من بدل في

(٣) قوله يجود الخ يشير الى حادثة المصافنة التي آ ثر كعب فيها الاعرابي

(٤) قر — بارد (٥) ريح صِر وصرة شديدة البرد

يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو - ماروى عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أُتينا بسبايا طىء كانت في النساء جارية حماء [1] حوراء العين الى آخر ما ذكر رضى الله عنه من صفات جمالها فلما رأيتها أعجبت بها فقلت لأطلبنها إلى رسول الله ليجعلها من فَيْئى فلما تكلمت أُنسيتُ جمالها لِما سمِعْتُ من فصاحتها فقالت . . يامحمد هلك الوالد . وغاب الوافد . فإن رأيت أن تخلى عنى فلا تُشْمِتَ [2] بى أحياء العرب فانى بنتُ سيد قومى كان أبى يفُكّ العانى [3] ويحمى الذمار [4] ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويفرّج عن المكروب ويطعم الطعام ويُفشى السلام ولم يَرُدَّ طالب حاجة قط . أنا بنت حاتم طى » فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية [5] هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه. خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق . والله يحب مكارم الأخلاق

ومن شعره وقد أقسم أبوه ألا يسكن معه لِلومه فى الاعطاء وتركه :

وإنى لعفُّ الفقر مُشْتَرِكُ الغنى ... وتارك شكل لايوافقه شكلى

وشكلى شكل لايقوم بمثله ... من الناس الاكلُّ ذى ثقة مثلى

وله مخاطباً ماوِيَّة بنت عفزر (وكانت من بنات الملوك ويروى ملكة وكانت تتزوج من أرادت وقد أتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلا من النَّبِيْت فقالت انقلبوا الى رحالكم وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فانى أتزوج

---

(١) الاحم الابيض والاسود والانثى حماء والكثير استعمال هذه المادة في السواد ومن استعمال الاحم فى الابيض : أحُم كمصباح الدجى

(٢) ويروى ولاتشمت (٣) العانى . الاسير (٤) الذمار الحرم والاهل والانساب وما يلزم الانساب حفظه وصيانته وحمايته (٥) الجارية الشمس وسائر النجوم والجارية عين الشمس فى السماء والجارية السفينة والجارية النعمة من الله على عباده والجارية الفتية من النساء بينة الجَراء

أ كرمكم وأشعركم فانصرفوا وصبحوها [١] فاستنشدتهم فأنشدها النبيتي فالنابغة فحاتم فقالت إن حاتماً أكرمكم وأشعركم ولما خرج النبيتي والنابغة قالت لحاتم خل سبيل امرأتك فأبى فزودته وردته وبعد انصرافه دعته نفسه اليها وقد ماتت امرأته فخطبها فتزوجته وولدت عديا (ما أنشده حاتم) :

أماويّ [٢] قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني [٣] من طلابكم [٤] عذر [٥]

أماوى إن المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الاحاديثُ والذكر

أماوى إنى لا أقول لسائلى ... إذا جاء يوما حل فى مالنا نزر [٦]

أماوى إما مانعٌ فمبيّن ... وإما عطاء لاينهنهه [٧] الزجر

أماوى ما يغنى الثراء [٨] عن الفتى ... إذا حشرجت [٩] نفسٌ وضاق بها الصدر

أماوى إن يُصبح صداى [١٠] بقفرة ... من الارض لا ماءٌ هناك ولا خمر

ترَىْ أن ما انفقتُ لم يك ضائرى ... وأن يدى مما بخلْتُ به صِفرْ [١١]

أماوى إنى ربُّ واحدٍ أمه ... أجرْتُ فلا قتلٌ عليه ولا اسر

وإنى لا آلو [١٢] بمالى صنيعة [١٣] ... فأوله زاد وآخره ذخر

---

(١) صبحوها أتوها صباحا وورد مضعف العين صبّحه متعديا قال لى عم صباحا ومجردا صبَحه متعديا كذلك (٢) ماوية علم مخطوبته وأصل معناها المرآة (فهو علم منقول) (٣) عذره يعذره من باب ضرب رفع عنه اللوم (٤) والطلاب والمطالبة أن تطالب انساناً بمالك عنده ولاتزال تتقاضاه وتطالبه بذلك والغالب فى باب الهوى الطلاب (٥) العذُر جمع عذير وهى الحال وسكن للضرورة (٦) النزر بالزاى القلة (٧) ينهنهه، يكفه (٨) الثراء الكثرة (٩) الحشرجة . تردد صوت النفَس فى الصدر وهى الغرغرة (١٠) الصدى جسد الانسان بعد موته (١١) صفر ـ خالية . الوفر من المال والمتاع الكثير الواسع (١٢) آلو ـ أُقصّر (١٣) الصنيعة : العطية والاحسان والكرامة .

يفك به العانى (١) ويؤكل طيباً وما إن تعرّيه (٢) القِداح (٣) ولا القمر (٤)
غَنينا (٥) زماناً بالتصعلك (٦) والغنى وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأواً (٧) على ذى قرابة غنانا ولا أزري بأحسابنا الفقر
وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمى يجاورنى ألا يكون له سِتر
بعينىَّ عن جارات قومىَ غفلة وفى السمع منى عن أحاديثها وَقْر (٨)

﴿ من ضُرب به المثل فى الشجاعة ﴾

منهم خالد بن جعفر بن كِلاب العامرى وربيعة بن مكدوم وعنترة العبسى ومُلاعب الأسنة وعمرو بن كلثوم (بلوغ الارب فى احوال العرب)

﴿ أوفياء العرب ﴾

منهم عوف بن مُحلّم وحنظلة بن عفراء والحرث بن ظالم المُرّى والحرث بن عبّاد والسموءل بن حيّان بن عادياء وفكيهة بنت قتادة بن مشنوء

« بلوغ الارب فى أحوال العرب »

﴿ فضل العرب ﴾

روى أبو العيناء الهاشمى عن القحذمى عن شبيب بن شيبة قال :

كنا وقوفاً بالمِرْبَد (موضع البصرة) ـ وكان المربد مألف الأشراف ـ إذ أقبل ابن المقفع فتبشبشنا به وبدأناه بالسلام . فرد علينا السلام . ثم قال لو ملتم إلى دار نيروز وظلها الظليل وسورها المديد ونسيمها العجيب فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض وأرحتم دوابكم من جهة الثقْل فإن الذى تطلبونه لم تفلتوه ومهما قضى الله

---

(١) العانى الاسير (٢) تعريه تفنيه (٣) القداح جمع قِدْح وهى سهام الميسر
(٤) القمر : المقامرة (٥) غنينا : أقمنا ومكثنا وعشنا (٦) التصعلك الفقر
(٧) البأو الكبر (٨) الوَقر بفتح أوله ثقل فى الاذن وقيل ذهاب السمع كله

لكم من شيء تنالوه فقبلنا وملنا . فلما استقر بنا المكان قال لنا أى الأمم أعقل . فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا لعله أراد أصله من فارس . فقلنا فارس . فقال : ليسوا بذاك . إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ووجدوا عظيما من الملك وغلبوا على كثير من الخلق ولبِث فيهم عقد الأمر فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقى حِكَمٍ فى نفوسهم . قلنا فالروم . قال أصحاب صنعة . قلنا فالصين قال أصحاب طُرْفة . قلنا فالهند قال أصحاب فلسفة . قلنا السودان قال شر خلق الله . قلنا الخزر . قال بقر سائمة . قلنا فقل . قال العرب . قال فضحكنا . قال أمَا إنى ما أردت موافقتكم ولكن اذ فاتنى حظى من النسبة فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار أثرت . أصحاب ابل وغنم وسكان شعر يجود أحدهم بقُوْتِه . ويتفضل بمجهوده . ويشارك فى ميسوره ومعسوره . ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة . ويفعله فيصير حجة . ويُحَسِّن ماشاء فيَحْسُن ويُقبِّح ماشاء فَيَقْبُح . أدبتهم أنفسهم . ورفعتهم هممهم . وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم . فلم يزل حِباء الله فيهم وحباؤهم فى أنفسهم حتى رَفَع لهم الفخر وبلغ بهم أشرف الذكر . وختَم لهم بملكهم الدنيا على الدهر . وافتتح دينه وخلافته بهم الى الحشر . على الخير فيهم ولهم فقال سبحانه وتعالى « ان الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فمن وضع حقهم خسِر ومن انكر فضلهم خُصِم ودفع الحق باللسان أكبت للجنان

﴿ عادات العرب ﴾

عادات العرب كثيرة مفصلة ومبينة فى أشعارها وأخبارها وقد غصّت بها كتب كثيرة منها حمل الملوك على الأعناق اذا مرضوا . قال أبو عبيدة كان ملوك العرب اذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه لأنه عندهم أوطأ من الأرض قال النابغة :

ألم أقسم عليك لتخبرنى   أمحمولٌ على النعش (١) الهمام

فإنى لا ألومك فى دخولى (٢)   ولكن ما وراءك ياعصام

فإن يهلِكْ أبو قابوسَ يهلِكْ   ربيعُ الناس والشهرُ الحرام

ونأخذ بعده بذِناب عيش   أجبَّ الظهر ليس له سنام

ومنها تحريم الخمر على أنفسهم حتى يثأروا لقتيلهم قال الشنفرى يرثى خاله تأبط شراً ويذكر إدراكه ثأره من قصيدة له :

فأدركنا الثأرَ فيهم ولما   ينج مِلحيَّين الا الأقلُّ

حلَّتْ الخمر وكانت حراما   وبلأْيٍ ما ألمت تحلُّ

ومنها التَّعقِيَةُ أو سهم الاعتذار . وأصل هذا أن يقتُلَ الرجل رجلا من قبيلة فيطلب القاتل بدمه فيتقدم جماعة من الرؤساء الى أولياء المقتول بدية ويسألونهم العفو وقبول الدية فإن كان أولياء المقتول من ذوى البأس والجاه أبَوْا ذلك وإلا قالوا بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهى فيقول الآخرون وما علامتكم فيقولون نأخذ سهماً فنرمى به نحو السماء فإن رجع الينا مضرَّجاً بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية وإن رجعَ كما صعِدَ فقد أمرنا بأخذها وكانوا يمسحون لحاهم ويصالحون على قبول الدية فكان مسحُ اللحى علامةً على الصلح قال الاشعر الجُعفى :

عقّوا بسهم ثم قالوا سالموا   ياليتنى فى القوم إذ مسحوا اللحى

قال ابن الاعرابى : ما رجع قط إلا نقياً ولكنهم يعتذرون به عند الجهال .

ومنها الخلع واللعن (الخلع مصدر خلع كمنع النزع ، واللعن مصدر لعن كمنع الطرد والابعاد واشتقوا منهما فعيلا بمعنى مفعول فقالوا خليع ولعين) أما الخليع فالذى

---

(١) النعش شبه محفة كان يحمل عليها الملك إذا مرض وسرير الميت والمراد الاول (المحفة مركب للناس كالهودج الا أنها لا تقبب)

(٢) ويروى دخولٍ

خلعه أهله وتبرءوا منه لخبثه . بيان ذلك أنه كان الرجل يأتي بابنه الذي خبث الى الموسم ويقول ألا إني قد خلعت ابنى هذا فان جرَّ (أذنب) لم أضمنه وان جُرَّ عليه لم أطلبه فلا يؤخذ بثأره . وأما اللعين فهو تمثال الرجل الغادر . بيان ذلك أن الرجل فى الجاهلية كان اذا غدر وأخفر الذمة جُعـل له تمثالٌ من طين ونُصب وقيل ألا إن فلانا غادر فالعنوه قال الشاعر : —

فلنقتلنَّ بخالد سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالا

وهاتان العادتان مما أبطله الاسلام من عادات الجاهلية اكتفاء بما جاء به الذكر الحكيم وهما تدلان على أن العرب بلغت ما بلغت من محاسن الاخلاق وجميل الصفات.

ومنها جز النواصى جمع ناصية (وهى الشعر فى مقدم الرأس فوق الجبهة) كانت العرب اذا أنعمت على الرجل الشريف بعـد اسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند الرجل الآسر يفتخر بها قال ابن أبى خازم الاسدى :

فاذْ جُزَّت نواصى آل بدر فأدُّوها وأسْرى فى الوثاق
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بُغاة ما بَقينْا فى شقاق

المعنى — إذ قد جزرتم نواصىَ آلِ بدر فاَحملوها إلينا وأطلقوا من قد أسرتم وإن لم تفعلوا فاُعلموا أنا نبغيكم ونطلبكم كما تبغوننا وتطلبوننا فإن أصبنا أحداً منكم طلبتموه به وأنتم كذلك فصار كل واحد يبغى صاحبه فنبْقَى فى شقاق وعداوة ابدا

ومنها شد اللسان . وذلك أنهـم كانوا إذا أسروا أسيرا وكان شاعرا ربطوا لسانه بنِسْعَةٍ وعلى ذلك قول عُبْدِ يَغُوثَ القحطانى الحارثى اليمنى : —

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة أمعشر تَيْمٍ أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيْمٍ قد ملكتم فأسْجحوا فان أخاكم لم يكن من بَوائيا
فان تقتلونى تقتلوا بىَ سيداً وإن تُطلقونى تحرُبونى بماليا

(النسعة : سير منسوج . أسجحوا : أحسنوا العفو . البواء : السواء . أى لم

يكن أخوكم نظيراً لى فأ كون بواء له. تحربونى : تسلبونى)

وفسر جمع البيت الاول بما ذكر من العادة أى أن الشدّ على ظاهره وانما كانوا يفعلون ذلك مخافة الهجو وقال آخرون المراد بشد اللسان عدم النطق بالمدح فالشاعر يطلب من تيم فعل الخير به لينطلق لسانه بشكرهم . فاذا لم يفعلوا فلسانه مشدود لا ينطق بمدحهم . وهذا هو المعقول .

ومنها خضاب نحور الخيل . وذلك أن عيشة العرب كان من أسبابها لحوم الصيد وكانت خيلهم تساعدهم على نيل مقاصدهم فكانوا إذا دفعوا بالخيل نحو الصيد وأدركوه يخضبون نحر السابق بدم الصيد إشارة إلى أنه السابق وأنه لا يدرك فى الغارات وقد بطلت بعد الاسلام هذه العادة .

ومنها وأد البنات (وهو قتلهن) كانوا يقتلونهن خشية العار وأول من فعل ذلك قيس بن عاصم المِنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى المال . وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغزاهم جيشاً فسبَوْا ذراريّهم فأناب القوم وسألوه فيهم . فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباها ردت اليه . وكل من اختارت صاحبها تُركت معه فكلهن اخترن آباءهن إلا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح . فنذر قيس أنه لا يولد له ابنة إلا قتلها . فكان يقتلهن بعد ذلك

وورد القرءان باعظام ذلك بقوله « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت »

ومنها قتل الاولاد خشية الاملاق والفاقة فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة أن يُطعَم معه الى أن نهى الله تعالى عن ذلك بقوله « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خِطأً كبيرا »

ومنها حبس البلايا — كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ويقبلون برأسها الى ورائها ويغطون رأسها بوليةٍ (وهى البرذعة) فاذا أفلتت لم تردّ عن ماء ولا مرعى ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حُشِرت معه فى الميعاد ليركبها قال أبو زيد : —

كالبلايا رءوسها فى الولايا　　مانحات السَّموم حُرَّ الخدود

ومنها الهامة ـ كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يطالب بثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح : اَسقونى اَسقونى حتى يطالب بثأره قال ذو الإصبع العدوانى :

ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى　　أضربكَ حتى تقول الهامة اُسقونى

ومنها تصفيق الضالّ ـ كان الرجل منهم اذا ضل في الفلاة قلب ثيابه وحبس ناقته وصاح في اذنها كأنه يومىء إلى إنسان وصفّق بيديه قائلا الوحا الوحا (أى الاسراع) النجاء النجاء هيكل الساعة الساعة . إلىَّ إلىَّ عجل . ثم يحرك ناقته فيزعمون أنها تهتدى الى الطريق حينئذ . قال الشاعر :

وآذنَ بالتصفيق من ساء ظنُّه　　فلم يدر من أى اليدين جوابُها

يريد إذا ساء ظنه بنفسه حين يضل وحين يتيه :

ومنها ضرب الثور ليشرب البقر ـ كانوا يزعمون أن الجن تركب الثيران فتصدُّ البقر عن الشرب فيضربون الثور ليشرب البقر . قال الشاعر :

كذاك الثور يُضرب بالهراوى　　إذا ما عافت البقرُ الظماء

ومنها مسحُ الطارف عينَ المطروف . كانوا يزعمون أن الرجل اذا طَرف عينَ صاحبه فهاجت فمسح الطارفُ عين المطروف سبعَ مرات يقول في كل مرة : باحدى جاءت من المدينة باثنتين جاءتا من المدينة بثلاث جِئْن من المدينة الى سبع سكن هيجانُها :

ومنها كىُّ السليم من الابل ليبرأ الجربُ منها : كانوا يزعمون أن الابل إذا أصابها عرٌّ : (وهو الجرب) فكووا صحيحاً الى جانبه ليشم رائحته برئ وربما زعموا أنه يؤمن معه العدوى قال النابغة :

وكلفتنى ذنب أمرىء وتركته　　كذى العرِّ يُكوى غيرُه وهو راتع

ومنهـا ذهاب الخَدَر من الرِّجْلِ — كانوا يقولون إن الرِّجْل اذا خدِرت رجله فذكر أحبَّ الناس اليه ذهب عنه الخَدَر وقالت امرأة من كلاب :

اذا خدِرَتْ رجلى ذكرتُ أبن مصعب فإنْ قلت عبد الله أجلى فتورُها

ومنها رمى سن الصبى المثغر فى الشمس — يقولون : إن الغلام اذا أثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال أبدليني بها أحسن منها فقد أمن على أسنانه العوجَ والفَلَجَ والنَغَل قال طَرَفة :

بَدَّلتْه الشمس من مَنْبِته بَرَداً أبيض مصقول الأُشُر (١)

﴿ ما كان للعرب من العلوم والمعارف فى الجاهلية ﴾

— أقسام العرب —

العرب ثلاث طبقات : بائده وعاربة أو عرباء ومستعربة :

فالبائدة هم العرب الذين بادوا ودرست أخبارهم وحلت محلهم العربُ العاربة أو العرباء والمشهور منهم عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وعبد ضَخْم وجُرْهم الاولى ومَدْين . فأما عادٌ فكانت منازلهم بالاحقاف (بين اليمن وعمان) وهم الذين بعث الله اليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا به فأهلكهم بالريح كما أخبر به القرءان

وأما ثمود فكانت منازلهم بالحجر ووادى القُرَى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال وبعث الله اليهم صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا به فأهلكهم بصيحة من السماء كما أنبأ به الذكر الحكيم

وأما العمالقة فتفرقت منهم امم فى البلاد فكان منهم أهل عمان والبحرين والحجاز وملوك العراق والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر (الرُّعاة)

---

(١) أُشُرُ الاسنان وأُشَرها حدة ورقة فى اطرافها وأشرت المرأة أسنانها تأشِرها أشْرا حددتها ورققتها والواشرة المرأة التى تشر أسنانها والمؤتشرة والمستأشرة كلتاهما تدعو الى أشر أسنانها

وأما طسم فكانت منازلهم باليمامة وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين اخوانهم جديس الآتى ذكرهم

واما جديس فكانت مساكنهم بجوار طسم المقدم ذكرهم وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين طسم

واما عبد ضخم فكانوا يسكنون الطائف ويقال إنهم أوّلُ من كتب بالخط العربى

واما جرهم الاولى فكانوا على عهد عاد فبادوا « يبحث عن مساكنهم فى كتب التاريخ »

واما مدين فكانت ديارُهم ديارَ عاد وأرضَ مَعَان من اطراف الشام مما يلي الحجاز وبعث الله اليهم شعيبا فلم يؤمنوا

والعاربة أو العرباء هم بنو قَحطانَ عربُ اليمن والمشهور منهم شَعبان جرهم الثانية ويعرُبُ . فأما جرهم الثانية فكانت منازلهم أوّلا باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه فأقاموا به . وأما يَعرُبُ فهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا ويقال إن العرب انما سميت عرباً به . ووُلد له يشجبُ ووَلد يشجُبُ سَبا ومنه تفرعت جميع قبائلهم واسم سبأ عبد شمس ومرجع المشهور فيه الى قبيلتين وهما حميَرُ وكهلانُ

والمشهور من بنى حمير أحياء قُضاعة . وَبلِيّ . وجُهَينة . وكلب . وعُذرة . وبهراء . وبنو نَهْد . وجَرْم

وملوك اليمن من بنى حمير ثم من بنى كهلان

والمشهور من بنى كهلان الأزد . وطيء . ومذحِج . وأنمار . وجُذام . ولخْم . والأشعريون . وعاملة . وهمْدان . وكِندة . ومُراد

وخلَفَ بنو كهلانَ بنى حمير على ملك اليمن

والمستعربة هم الذين دخلوا فى قبائل العرب العاربة من غير العرب وأخصهم ولدُ إسمعيل بن إبرهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام بعد اتصالهم بجرهم الثانية من وَلَدِ قحطان . سُمُّوا بذلك لأنّ لسان اسمعيل عليه السلام كان العبرانيـة أو السريانية فلما نزل جرهم من القحطانيةِ عليه وعلى امه بمكة المشرفة تزوج منهم وتعلم هو وبنوه العربيةَ من جرهم المذكورين .

واعلم ان الموجودين من العرب من ولد إسمعيل عليـه السلام كُلُّهم من بنى عدنان ولذلك عُرفت هذه العرب بالعدنانيةِ

وكلامنا في هذا الموضوع لا يتناول العرب البائدة بل مقصور على من تفرعوا من قحطان وعدنان .

أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على أحسن ما يكون من التمدين . والغالبُ سكن البلاد المعمورة وبَنَوْا القصور المشهورة وشيدوا الحصون المذكورة وكانت لهم مدن عظيمة شرح حالَها أهلُ الاخبار على أتم وجه .

هذه سبأ [١] (قبيلة) ذكرها الله فى كتابه العزيز فقال :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آيةٌ جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفورٌ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أُكُلٍ [٢] خَمْطٍ [٣] وأثل [٤] وشيء من سِدْرٍ [٥] قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يُجازَى إلا الكفور »

وكان لهم ملوكٌ وأقيالٌ (الاقيال جمع قَيْلٍ وهو الملك دون الملك الأعظم)

---

(١) سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢) أُكُل . مأكول (٣) خمط : مر بشع (٤) اثل : شجر يشبه الطرفاء الا انه أعظم منه واكرم (٥) سدر : نَبِق واحده سِدرة وجمعها سدر وهو نوعان عُبْرِيّ وضالٌ فأما العبرى فلا شوك له واما الضال فذو شوكة

دوّخوا البلاد واستولوا على كثير من أقطار الأرض ـ وذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التى لابد منها فى حفظ النظام وعليها مدارُ المعاشِ وسياسةُ المدن وتدبيرُ المنازلِ والجيوش وتأسيسُ المدنِ والأمصارِ وإجراء المياه وغيرُ ذلك مما لا يتّفق وجودُه مع الجهل وعدم المعرفة . هذا إلى ما كان لهم من ديانات مختلفة وما كان لهم من اليد الطُولَى فى كثير من الصناعات وما كان للتبابعة والجبابرة منهم من المذاهب فى أحكام النجوم . وكل ذلك لا يسع أحداً المكابرةُ فيه وإنكارُه بعد ما نطقت به الاخبار المتواترةُ .

وأما بنو عدنان ومَن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فَرّقتهم حادثةُ سيل العرم فكانوا على شريعةٍ موروثة وعلمٍ منزل وهو ما جاء به ابرهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وقد داوَموا على العمل بتلك الشريعة زمناً ثم اختلَّ أمرُهم وتغير حالُهم بمرور العصور فأهملوا ما كانوا عليه من الدين ودانوا بما وضعه لهم المبطلون . وفشا فيهم الجهلُ وأضاعوا صنائعهم . ونشئوا فى الأطراف والاكناف . ووقع التنازع والتشاجر بين القبائل . واستحكمت بينهم البغضاء . وألهاهم ذلك عن العمل بما نزل من الشرائع وعن كثير من العلوم العقلية . اللهم إلا ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب وما حَفِظوه من أنسابهم وأيامِهم وما احتاجوا إليه فى دنياهم من الأنواء والنجوم والطب وغير ذلك

﴿ مبانى العرب المشهورة ﴾

مبانى العرب المشهورة هى غُمْدان وحِصنُ تيماء والخَوَرْنق والسَّدير والغَرِيّان

فأما غُمْدان فكان بصنعاء . قال ابن هشام : إن الذى بناه يعرُب بن قحطان وأكمله بعده وائل بن حمير بن سبأ بن يعرب . وخرّبه عثمان رضى الله عنه

وقيل فى صفته إنه كان مربعاً . أحد أركانه مبنى بالرخام الأبيض والثانى بالرخام الاصفر والثالث بالرخام الأخضر والرابع بالرخام الاحمر وفيه سبعة سقوفٍ طباقاً

بين السقف والآخر خمسون ذراعاً . وعلى كل ركن تمثال أسد من نحاس اذا هبت الريح دخلت من دُبره وخرجت من فيه فيُسمع لها صوت كزئير الاسد «عجيب»

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لا يستقيم أمرُ العرب مادام فيها غمدان . وهذا القول هو الذى حض عثمان على هدمه ويقال إن آثاره باقية الى عصرنا هذا وإنه تلٌ عالٍ مُطلٌ على صنعاء

وأما حِصْن تيماء فهو الأبلق الفرد ، سُمى بالابلق الفرد لأنه كان مبنْياً بحجارة مختلفة الألوان وهو بأرض تيماء

بناه السَّموءل بن عادياء اليهودي . وبه تضرب العربُ المثل فى المنعةوالحصانة وفيه يقول الشاعر :

طلب الابلق العقوق فلما　　لم ينله فرام بيض الأنوق

وقصدت الزبَّاء هذا الحصنَ وحصنَماردٍ فلم تَقْدِرْ عليهما فقالت : تمرد ماردٌ وعَزَّ الابلق . ومارد حصن كان بدومة الجندل مبنى بحجارة سود ويقال إنه من بناء السموءل بن عادياء اليهودى

وأما الخورنق والسدير فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة . والسدير فى بريةٍ بالقرب منها . بناهما النُّعمان بن أمرىء القيس . وهو النعمان الا كبر . والذى بنى الخورنق سنِمَّارٌ . ولما فرغ من بنائه فى عشرين سنة عَجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه . فأمر أن يُلقى سنمار من أعلاه حتى لا يَبْنِيَ مثلَه لأحد

والعرب تضْرب المثل بفعل النعمان مع سنمار فى المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح . فيقال جزاء سنمار

وفيه يقول بعض الشعراء :

جزانى جزاه اللهُ شَرَّ جزائه　　جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رفْعِهِ البنيانَ عشرين حِجةً　　يُعَلِّي عليه بالقراميد والسكب

والخورنق تعريب خانقاه وهو الموضع الذى يؤكل فيه ويشرب والسدير تعريب سادل أى قبة فى ثلاث قباب متداخلة

وفى هذه الابنية يقول الاسود بن يَعْفُر :

ماذا أؤمل بَعْدَ آل مُحرِّق   تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق   والقصرِ ذى الشرفات من سِنْداد

وأما الغريّان فهما اسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه فماتتا فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين ويقال : إن المنذر[1] غزا الحرث بن أبى شَمِرٍ الغسّانى وكان بينهما وقعة على عين أُباغ[2] وهى من أيام العرب المشهورة ، فقُتِل للحرث ولدان وقُتل المنذرُ وانهزمت جيوشُه فأخذ الحرث ولديه وجعلهما عِدْلَيْنِ على بعير وجعل المنذرَ فوقهما وقال « ما العِلاوة[3] بدون العدلين » فذهبت مثلا ، ثم رحل الى الحيرة فانتهبها وحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما (حكاه ابن الاثير فى تاريخه « الكامل »)

---

(١) هو المنذر بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن عدِىّ بن نصر اللخمىّ . قتله الحرث بن أبى شَمِرٍ الغسّانى

(٢) عين أُباغ بالضم موضع بين الكوفة والرَّقه قالت ابنة المنذر بعد موته :

وقالوا فارساً منكم قتلنا   فقلنا الرمح يَكلف بالكريم

بعين اباغَ قاسمْنا المنايا   فكان قسيمها خير القسيم

ويوم عين أباغ يومٌ من أيام العرب المشهورة قُتل فيه المنذر بن ماء السماء . وماء السماء لقب أم المنذر بن امرىء القيس المتقدم

(٣) العلاوة ما يحمل على البعير وغيره وهو ما يوضع بين العدلين وقيل علاوة كل شىء ما زاد عليه

وأمر المنصور بهدم أحدهما لكنز توهم أنه تحتهما فلم يجد شيئا . وقيل فى سبب بنائهما غير ذلك . والله أعلم

اهـ من نهاية الارب فى فنون الادب للنويرى من ص ٣٨٤ الى ص٤٨٧ باختصار

﴿ تفصيل الكلام على العلوم ﴾

« من علوم العرب الشعر »

الشعر هو الكلام الموزون المُقفّى

فضل الشعر — هو ديوانُ أخبارهم وسِجلُّ عاداتِهم وخلالِهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لَحِكمَةً فإذا أُلبِسَ عليكم شىءٌ من القرءانِ فالتمسوه فى الشعر فإنه عربىّ » وقال سيدُنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : نِعْمَ ما تَعَلَّمَتْهُ العربُ الابيات من الشعر يُقدّمُها الرجل أمام حاجتهِ فيستنزِل بها الكريم ويستعطِف بها اللئيم

وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور . وقد أجمع الناس على أن المنثور فى كلامهم أكثرُ وأقلُّ جيداً محفوظا . وأن الشعرَ أقلُّ وأكثرُ جيداً محفوظا لأن فى أدناه من زينة الوزن والقافية ما يُقارِبُ به جيدَ المنثور

هذا واذا كان كلُّ علم محتاجاً الى السماع فأحوجُه الى ذلك علمُ الدين ثم الشعرُ لما فيه من الالفاظِ الغريبةِ واللغات المختلفةِ والكلامِ الوحشىّ وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه . قرىء يوما على الأصمعى :

بأسفل ذات الدير أُفرِدَ جَحشُها

فقال اعرابى حضر المجلس للقارىء : ضلّ ضلالك أيها القارىء إنما هى « ذات الدَّبْر » وهى ثَنِيَّةٌ عندنا فأخذ الاصمعى بذلك فيما بعد

﴿ الداعى الى الشعر والحاملُ عليه ﴾

كان كلامُ العرب كله منثورا فاحتاجت (العرب) الى الغناء بمكارم أخلاقها

وطِيبِ أعراقها وذكر أيامِها الصالحة وأوطانِها النازحة وفرسانِها الأنجادِ وسُمحائها الاجواد لتهزّ نفوسَها الى الكرم وتدلّ أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام . فلمّا تم لهم ذلك سمّوْه شِعراً لانهم شعروا به أى فطنوا

﴿أوّلُ من قصّد القصيد وأوّلُ من طوّل الرجز﴾

زعم الرواة أن الشعر كله كان رَجزا أو قطعاً وأن أول من قصّده مُهلهِل [1] فامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة . وأول من طول

---

(١) مهلهل — هو عدىّ بن ربيعة وسُمّى مُهَلْهلا لانه هلهل الشعر (أى أرقه) وهو أوّل من قصد القصيد ولم يقل أحدٌ قبله عشرة أبيات وقال الغزل وغنّى بالنسيب فى شعره

وقال يرثى أخاه كليبا :

نبئت أن النار بعدك أُوقِدت   واُستَبّ بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة   لو كنتَ شاهِدهم بها لم ينبسوا
واذا تشاء رأيت وجها واضحاً   وذراع باكيةٍ عليها برنس

وقتل مهلهلا عبداه وسبب قتلهما إيّاه أنه أسنّ وخرف وكانا يخدمانه فملّاه وخرج بهما الى سفر فبينما هو فى بعض الفلوات عزما على قتله فلما عرف ذلك أوصاهما بأن يبلغا قومه قوله :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا   لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه . فقالا مات وأنشداهم قوله : من مبلغ الحيين البيت . فقال بعض ولده : ان مهلهلا لا يقول مثل ذلك . وانما أراد :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا   أمسى قتيلا فى الفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

الرجز وجعله كالقصيد الاغلبُ العِجْلىُّ (١) وكان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم أتى العجاجُ فافتن فيـه . فالأغلب والعَجّاج فى الرجز كامرىء القيس ومهلهل فى القصيد

﴿ أقسام الشعراء ﴾

أقسام الشعراء أربعة: (١) شاعر خِنْذِيذٌ وهو الذى يَجْمَعُ الى جودة شعره روايةَ الجيِّد من شعر غيره (٢) شاعر مُفْلِق وهو المجيد الذى لا رواية له (٣) شاعر وهو مَنْ شعرُه بين الجيِّدِ والردىء (٤) شُعْرُور وهو آخرهم

﴿ طبقات الشعراء ﴾

طبقات الشعراء بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة سبع:
أصحاب المعلقات فالمجمهرات فالمنتقيات فالمذهبات فالمراثى فالمشوبات فالملحمات
وهاك أسماء شعراء كلِّ طبقة وقبائلهم ومواطنهم :

﴿ أصحاب المعلقات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
امرؤ القيس	كِنْدَة	نجد
زهير بن أبى سُلمى	مازن	نجد
النابغة الذُّبيانى	ذُبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	نجد
لبيد بن رَبيعَة	عامر	العراق
عَمْرو بن كُلثوم	تغلب	العراق
طَرَفة بنُ العبد	بكر	البحرين

(١) هو الاغلب بن جُشَم بن سعد بن عجل . وهو أول من أطال الرجز . وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين اذا فاخر أو شاتم وهو مخضرم وقتل بنهاوند

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
عنترة العبسى	عبس	نجد

﴿ أصحاب المجمهرات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
عَبِيد بن الابرص	أسد	نجد
عدىُّ بن زيد	عِباد	الحيرة
بشرُ بن أبى خازم	أسد	نجد
أُميّةُ بن أبى الصّلت	ثقيف	الطائف
خِدَاش بن زُهَير	عامر	نجد
النَّمِر بن تَوْلب	عُكل	نجد

﴿ أصحاب المنتقيات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
المسيّب بن عَلَس	بكر	العراق
المرقِّش الاصغر	ضُبيعه	نجد
المتلمّس	»	البحرين
عروة بن الورد	عبس	نجد
مُهلْهِل بن ربيعه	تغلب	»
دُرَيْد بن الصِمَّة	جُشم	»
المُتنخِّل الهذلى	هُذَيْل	الحجاز

﴿ أصحاب المذهبات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
حسان بن ثابت الانصاري	الانصار	يثرب
عبدالله بن رَوَاحة	»	»

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
مالك بن العَجْلان	الانصار	يثرب
قيس بن الخطيم	«	«
أُحَيْحة بن الجلاح	«	«
أبو قيس بن الاسلت	«	«
عمرو بن امرىء القيس	«	«

﴿ أصحاب المراثى ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
أبو ذُؤيب الهذلى	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الغنوى	غَنِيّ	يُسأل عنه
أعشى باهلة	بَاهلة	نجد
علقمة الحِمْيَرِىّ	حِميَر	يسأل عنه
أبو زُبيد الطائى	طيّء	نجد
مُتَمّم بن نُوَيْرَة	يربوع	اليمن
مالك بن الرَّيب	تميم	العراق

﴿ أصحاب المشوبات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
نابغة جعدة	جعدة	نجد
كعب بن زهير	مازن	نجد
القُطامىّ	تغلب	العراق
الحُطيئه	عبس	نجد
الشماخ بن ضرار	ذبيان	الحجاز

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
عمرو بن أحمر	باهلة	نجد
تميم بن مُقبل	يسأل عنها	يسأل عنه

﴿ أصحاب الملحمات ﴾

اسم الشاعر	قبيلته	موطنه
الفرزدق	تميم	العراق
جرير	«	«
الأخطل	تغلب	«
عُبَيْد الراعى	هوازن	الحجاز
ذو الرُّمة	عدِى	«
الكُمَيْت	مضر	«
الطِّرِمّاح بن الحكيم	طيء	نجد

وجملة هذه القصائد تسع وأربعون من نخبة قصائد العرب فى الجاهلية والاسلام وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد فى كتاب جمهرة أشعار العرب وقد طبع بمصر مشروحاً.

﴿ اهتمام العرب بالشعر والشعراء وآثاره ﴾

كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس لأنه به تُحمى أعراضهم وتُحاط أحسابهم وتُخلد مآثرهم . ولعلمهم أن الشعر يرفع أقواماً ويخفض آخرين وبه يُقضى على قوم ويُقضى لقوم

فمن حمى قبيلته زياد الأعجم وذلك أن الفرزدق همَّ بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل وأنا مُهدٍ إليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية

فجاءه من عنده :

فما ترك [١] الهاجون لى إن هجوته مُصحّاً [٢] أراه فى أديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يُرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرق [٣]
سأكسر ما أبقوا له من عظامه وانكت مخ الساق منه وأنتقى [٤]
فإنا وما تهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يُلق فى البحر يغرق

فلما بلغته الأبيات كفَّ عما أراد وقال : لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم

﴿ بعض من رفعه الشعر وبعض من وضعه ﴾

ممن رفعه الشعر عرابة الاوسيّ بشعر الشمّاخ بن ضرار [٥] وقد بذل له فى سنة

---

(١) قوله فما ترك الخ رواية الأغانى هكذا :

وما ترك الهاجون لى ان أردته مصحا أراه فى أديم الفرزدق
وما تركوا لحما يدقون عظمه لآكله أبقوه للمتعرق
سأحطم ما أبقوا له من عظامه فانكت عظم الساق منه وانتقى

(٢) مصحاً : غير مقطوع (٣) المتعرق : أكل ما على العظم من اللحم وفعله تعرقه مثل عرقه يعرُقه والعَرْق الفِدْرة من اللحم وجمعه عُراق وهو من الجمع العزيز وما جاء على فُعال من الجموع غير هذا توءم وتؤام وشاة رُبّى وغنم رباب . وظئر وظئار وعرق وعراق ورخل ورخال (٤) أنكت : أخرج . أنتقى : أختار

(٥) يقال إن اسمه مَعقِل. وهو من أوصف الشعراء للقوس والحُمُر قال يصف القوس :

فذاق فأعطته من اللين جانبا كفى ولها أن يُغرق السهمُ حاجز
إذا أنبض الرامون عنها ترنمتْ ترنّم ثكلى أوجعتها الجنائز

وهو مُخضرم . وأمّه من ولد الخُرْشب

شديدة وسق (١) بعير تمراً فقال :

رأيتُ عرابة الاوسىّ يسمو   الى الخيرات منقطع القرين
أفاد سماحة وأفاد مجداً   فليس كجامد لحز ضنين
إذا ما رايةٌ رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

وصار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً لا تبلى جدّته ولا تتغير بهجته .

وممن رفعه ماقاله من الشعر من القدماء الحرث بن حِلِزّة اليشكرىّ وكان أبرص فأنشد الملك « عمرو بن هند » قصيدته :

آذنتنا ببينها أسماءُ   ربَّ ثاو (٢) يُملُّ منه الثواء

وبينهما سبعة حُجُبٍ فما زال يرفعها حجابا وحجابا لحسن مايسمع من شعره حتى لم يبق منها حجاب ثم أدناه وقرّبه .

ومن المخضرمين سيدنا حسان بن ثابت الأنصارى وقد بلغ من رضا الله عز وجل ورضا نبيه عليه الصلاة والسلام ماأورثه الجنة كما سيأتى

ومن الفحول المتأخرين الاخطل واسمه غياث بن غوث وكان نصرانيا من تغلب بلغتْ به الحال فى الشعر الى أن نادم عبد الملك بن مروان وأمره أن يركب ظهر جرير بن عطية بن الخطفى وهو تقىٌّ مسلم .

ومن المحدثين أبو نواس كان نديما للأمين طول خلافته . ومسلم بن الوليد صريعُ الغوانى اتصل بذى الرياستين ومات على جُرجان وكان تولاّها على يديه . والبُحترىّ وكان نديما للمتوكل لايكاد يفارقه وبحضره قتل المتوكل . فهؤلاء رفعهم ماقالوه من الشعر فنالوا الرُّتب واتصلوا بالملوك وليس ذلك ببدع للشاعر ولاعجيب منه .

---

(١) الوسق قيل حمل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وسلم وهو خمسة أرطال وثلث (٢) الثاوى المقيم

وممن رفعه ماقيل فيه من الشعر المحلَّق (واسمه عبد العُزّى) وذلك أن الاعشى (١) قدم مكة وتسامع الناس به وكان للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت ان الاعشى قدم وهو رجل مُفوّه (٢) مجدود فى الشعر (المجدود السعيد وضده المحدود بالحاء المهملة) ما مَدح أحداً إلا رفعه ولا هجا أحدا الا وضعه وأنت رجل كما علمت خاملُ الذكر ذو بنات وعندنا لِقحة (٣) نعيش بها فلو سَبقت اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلتُ لك فيما تشترى ما يتعاطاه لرجوتُ لك حسن العاقبة . فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خُبزا وأخرجت نِحْياً (٤) فيه سمن وجاءت بوطب (٥) لبن فلما أكل الاعشى وأصحابه وكان فى عِصابة قيسية قدّم اليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشرابُ وأخذ منه الكأس (٦) سأله عن حاله وعياله فعرف البُؤس فى كلامه وذكر البناتِ فقال

---

(١) هو أعشى قيس المعروف بالاعشى الاكبر . واسمه ميمون بن قيس ابن جندل بن شراحيل وينتهى نسبه الى نزار ويكنى أبا بصير . وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . قال أبو عبيدة من قدم الاعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره . وكان يغنى بشعره . ويسمى صناجة العرب لجودة شعره . وهو أول من سأل بشعره وانتجع أقاصى البلاد . ومن كلامه :

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمتَ على ألا تكون كمثله ... فترصد للامر الذى كان ارصدا

(٢) مفوه . منطيق بليغ (٣) اللقحة . الناقة الحلوب (٤) النحى عند العرب الزِق الذى يجعل فيه السمن خاصة (٥) الوطب . سقاء اللبن خاصة

(٦) الزجاجة ما دام فيها الشراب وهى مؤنثة وفى الذكر الحكيم (بكاس من معين بيضاء) والكأس الشراب نفسه ولعله ذكر الفعل لهذا

الأعشى : كفيتَ امرهن . وأصبح بعكاظ ينشد :

أرقتُ وما هذا السهاد المورّق[1] وما بى من سُقمٍ وما بى معشق

ورأى المحلّقُ اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدرى أين يريد الأعشى بقوله إلى أن سمع :

نفى الذمّ عن آل المحلق جفنةٌ كجابية[2] الشيخ العراقى تفهق[3]

ترى القوم فيها شارعين[4] وبينهم مع القوم ولدان من النسل دَرْدق[5]

لعمرى لقد لاحت[6] عيونٌ كثيرة الى ضوء نار باليفاع[7] تحرق[8]

تُشب لمقرورين[9] يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق

رَضيعَيْ لبانٍ ثدىَ أمٍّ تحالفها باسحم داج عوضُ لا نتفرق

ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندُوانيّ[10] رونق

فما أتم القصيدةَ الاوالناس ينسِلون[11] الى المحلق يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس منهن واحدةٌ الا في عصمة (العصمة فى كلام العرب المنع والحفظ وعصمة النكاح عقدته) رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .

ومنهم بنو انف الناقة وكانوا يَفْرقون[12] من هذا الاسم حتى إن الرجل

---

(١) المؤرق : بصيغة اسم الفاعل المُسْهر (٢) الجابية الحوض الضخم وخص العراقى لانه حَضرىّ جاهل بمواقع المياه فاذا وجد ماء ملأ جابيته وأعدّها وأما البدوىّ فلعلمه بمواقع الماء لا يبالى ألا يُعِدَّها (٣) تمتلىء (٤) مجدين

(٥) دردق : صغار (٦) لقد لاحت : ابصرت وتشوفت (٧) اليفاع : التل

(٨) قوله تحرق : أصله تتحرق ويروى تُحرق بالبناء للمفعول (٩) القر . هو البرد

(١٠) السيف . ورونق . طلاوة وحسن (١١) ينسلون . من نسل ينْسِل اسرع

(١٢) يفرقون يخافون

منهم كان ليسأل ممن هو فيقول من بني قُرَيْع فيتجاوز جعفراً أنف الناقة ويُلقى ذكره فراراً من هذا اللقب الى أن نَقَل الحطيئة واسمه جرول بن أوس أحدهم وهو بغيض ابن عامر بن لأى بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزّبْرقان بن بدر الى ضيافته وأحسن اليه فقال :

سيرى أمامُ فان الاكثرين حصى[1] والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يُسَوّى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم فى جهارة

وإنما سُمى جعفرُ انف الناقة لأن أباه قسم ناقةً جزورا ونَسِيه فبعثته أمه ولم يبق الا رأس الناقة فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصابعه فى أنف الناقة وأقبل يجره فسمى بذلك

وثمّ طائفةٌ نطقوا فى الشعر بألفاظٍ صارت لهم شُهْرَةً يَلبَسونها وألقاباً يُدعوْن بها فلا يُنْكرونها منهم عائد الكلب وهو عبد الله بن مُصعب كان واليا على المدينة للرشيد ولقب بذلك لقوله :

مالى مرضت فلم يعدنى عائد منكم ويَمْرضُ كلبكم فأعود

والممزق واسمه شأس بن نهار لقب بذلك لقوله لعمرو بن هند :

فإن كنتُ مأكولا فكن أنت آكلى وإلا فأدركنى ولما أمزق

وقد تمثل بهذا البيت سيدُنا عثمان رضى الله عنه فى رسالة كتب بها الى الإمام على بن أبى طالبٍ كرّم الله وجهه .

ومنهم مِسْكينُ الدّارمىّ واُسمه رَبيعةُ من ولد عامر بن أُنيف بن شُرَيح بن عمرو بن عُدُس[2] بن زيد بن عبد الله وانما لقب بذلك لقوله :

أنا مسكين لمن أبصرنى ولمن حاورنى جد نطق

---

(١) حصا . عددا (٢) عدس بن زيد بضم العين والدال وكل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال الاعدس بن زيد فانه بضم الدال

ومنهم المرقِّش « بصيغة اسم الفاعل » لقوله « المرقش الا كبر » :

الدار قفر والرسوم كما   رَقش [١] فى ظهر الاديم قلم

ومنهم المثقِّب « بصيغة اسم الفاعل » لقوله :

ظهرن بِكِلَّة وسدلن رقما   وثَقَّبن الوصاوص [٢] للعيون

ومنهم المتلمِّس لقوله :

فهذا أَوان العرض جُنَّ ذبابه   زنابيره والأَزْرق المتلمسُ

ويروى : وذاك أوان العرض حَيَّ ذبابه

وانما هذا لمكان الشعر من قلوب العرب وسرعة ولوجه فى آذانهم وتعلقه بأنفسهم ومن وضعه ما قيـل فيه من الشعر حتى انكسر نسبُه وسَقَط عن رتبته وعِيْب بفصيلته [٣] بنو نمير وكانوا جمرة [٤] من جمرات العرب . إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومدَّ صوته وقال من بنى نمير الى أن صنع جرير قصيدته التى هجابها عُبيد ابن حُصَين الراعى فسهر لها وطالت ليلته الى أن قال :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فاطفأ سراجه وقال : قد والله أخزيتهم الى آخر الدهر . فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً [٥] فيصيح به بنو نمير ياجُوذاب [٦] باهلة . فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك

(١) الرقش الكتابة والتنقيط (٢) الوصاوص جمع وصوص وهو ثقب فى الستر وغيره على مقدار العين ينظر منه (٣) بفصيلته . بقومه . (٤) الجمر النار المتقدة فاذا بردت فهو الفحم واحدتها جمرة ثم استعملت فى القوم يصبرون على قتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون الى أحد وجمرات العرب بنو الحرث بن كعب وبنو نمير بن عامر وبنو عبس وكان أبو عمرو بزيد بنى ضبة بن أد وقد اطفئت منهم جمرتان بنو الحرث لمحالفتهم نهداً وبنو عبس لانتقالهم الى عامر بن صعصعة

(٥) طالبا الميرة وهي الطعام (٦) طعام يصنع من السكر والارز واللحم

فقالوا له اذا نبزوك[1] فقل لهم :

فغضّ الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ومر بهم بعـد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال غمض والا جاءك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر اليها فقالت :

قبحكم الله يا بنى نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضـوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر :

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وهذه القصيدة يسميها العرب الفاضحة . وقيل سماها جرير الدمّاغه تركت بنى نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً الى أبيه هرباً من ذكر نمير وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة .

ومنهم بنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الاضياف الى أن هجاهم به النجاشي فضجروا منه وسبوا به واستعدوا[2] عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقالوا ياأمير المؤمنين هجانا فقال وما قال فانشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة[3]   فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر رضى الله عنه انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا إنه قال :

قبيّلةٌ لا يغدرون بذمة   ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء أو قال : ليت آل الخطاب كذلك أو كلاما يشبه هذا . قالوا فانه قال :

ولا يردون الماء الا عشية   اذا صدر الورّاد عن كل منهل

---

(١) النبز اللقب والنبز التلقيب نبزه لقبه (٢) أستنصروه واستعانوه . واستعدى عليه السلطان استعان به فأنصفه منه وأعداه عليه قواه وأعانه عليه

(٣) ضعف

فقال عمر ذلك أقل للسكان يعنى الزحام . قالوا فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم   وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر كفى ضَيَاعا من تأكل الكلاب لحمه قالوا فانه قال :

وما سمى العجلان الا لقولهم   خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا ياأمير المؤمنين هجانا فقال ما أسمع ذلك فقالوا فاسأل حسان بن ثابت فسأله فقال ماهجاهم ولكن سلح عليهم . وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل انه حده

﴿ بعض من قضى له الشعر وبعض من قضى عليه ﴾

١ — ممن قضى له الشعر النابغة الجعدى « مخضرم » وقد أنشد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم :

بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا   وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا[1]

فقال له النبى عليه السلام الى أين يا أبا ليلى فقال الى الجنة قال إن شاء الله فقضت له دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة وسبب ذلك شعره

٢ — ومنهم سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد أنشد النبى صلى الله عليه وسلم حين أجاب عنه أبا سفيان بن الحرث قوله :

هجَوْتَ محمدا فأجبتُ عنه   وعند الله فى ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عندالله الجنة ياحسان . ولما قال :

فإن أبى ووالده وعرضى[2]   لعرض محمد منكم وقاء[3]

قال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .

— هذا وممن قضى عليه الشعر علقمة بن عُلاثَة الصحابى رضى الله عنه قبل

---

(١) مظهرا . مصعدا (٢) العرض . الشرف (٣) وقاء . وقاية

إسلامه ذلك أنه نافر ابن عمه عامر بن الطُفَيل فهاب حكام العرب أن يحكموا بينهما بشيء فتنافرا الى هرم بن قُطْبَةَ الفزارى واقاما عنــده سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر الى أن قدم الاعشى وكان لعامر عنده يد [1] فقال فى هذا المعنى قصيدته التى منها :

ان الذى فيــه تماريتما [2] ... لبيّنٌ [3] للسـامع الناظر
ماجُعل الجدُّ الظنون [4] الذى ... جنِّب صوبَ اللجب [5] الماطر
مثل الفراتى [6] اذا ماطما [7] ... يقذف بالبوصىّ [8] والماهر [9]
عَلقمَ ما أنت إلى عامر ... الناقِضِ الأوتارَ [10] والواتِرِ [11]
علقم لا تسفه ولا تجعلن ... عرضكَ للوارد [12] والصادر
وأوّل الحكم على وجهه ... ليس قضائى بالهوى الجائر [13]
حكّمتموه فقضى بينكم ... أبلجُ [14] مثل القمر البـاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ... ولا يبـالى غَبَنَ الخاسر
سُدْتَ بنى الاحوص لا تمدهم [15] ... وعامرٌ ساد بني عامر [16]
قد قلتُ شعرى فمضى فيكما ... فاعترف المنفور [17] للنافر [18]
ولستَ بالاكثر منه حصىً [19] ... وانما العزة للكاثر

فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الاعشى في شعره وكان فى رأى هرم على قول أكثر النـاس خلاف ذلك والى هذا واشباهه أشار أبو تمام الطائي بقوله فى صفة الشعر :

---

(١) يد . نعمة (٢) تخاصمتما (٣) قوله لبين يروى بين (٤) الذى تتوهمه ولست منه على اليقين (٥) السحاب (٦) أنهر الفرات أو الماء المعروف (٧) علا وارتفع (٨) ضرب من السفن (٩) السابح (١٠) الاوتار جمع وتر وهو الثأر (١١) الواتر هو الجاني (١٢) لا تعرضه للذم (١٣) الظالم (١٤) وهو فاعل قضى (١٥) لا تجاوزهم (١٦) القبيلة كلها (١٧) المغلوب (١٨) الغالب (١٩) أي عدداً

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة ... ويُقضى بما يَقضي به وهو ظالم

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية هذه القصيدة . وإنما تبعتُ العلامة البغدادى في خزانته وابن رشيق في عمدته في ذكر بعضها دون سائرها لما استدعاه المقام . ولما قال الاعشى في علقمة « ما أنت .. البيت » نذر علقمة دمه فخرج الاعشى يريد وجها فأخطأ به دليله فألقاه في ديار بنى عامر بن صعصعة فأخذه رهط علقمة فأتوه به فقال :

أعلقم قد صَيَّرَتني الامورُ ... اليك وما أنت لى مُنقص

فهب لى ذنوبى فدتك النفوس ... ولا زلت تنمى ولا تنقصُ

فعفا عنه فقال الاعشى ينقض ما قال أولا :

علقم ياخير بني عامر ... للضيف والصاحب والزائر

والضاحكَ السنّ على هَمِّه ... والغافر العثرة للعاثر

الانفة من التكسب بالشعر ثم التكسب به

كان الغالبُ على طباع من تقدم من الشعراء الانفةَ من السؤال بالشعر وقلةَ التعرض لما فى أيدى الناس الا فيما لايزرى بقدر ولا مروءة . تعلم ذلك من قول عمر بن الخطاب « نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته » ألا ترى لبيد بن ربيعة لما بعث اليه الوليد بن عقبة بن ابى مُعَيْط أمير الكوفة مائة من الابل ينحرها لأجراء عادته عند هبوب الصَّبا وكان قد أسَنّ وأقل قال لابنته اشكرى هذا الرجل فإنى لأجد نفسى تجيبنى فقالت :

اذا هبت رياح ابى عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشميا [1] ... أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب [2] كأن ركبا ... عليها مِنْ بنى حام قعُودا

أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معاد ... وظنى يابن [3] أروى أن تعودا

---

(١) نسبه لعبد شمس (٢) جمع هضبة وهى الجبل قليل الارتفاع (٣) كنية الوليد بن عقبة

ثم لما عرضتها عليه قال لها لقد أجدت لولا أنك استعمدت كراهية فى قولها « فعد إن الكريم له معاد » وإنما كان يصنع الواحد منهم مايصنع منه فكاهة[1] أو مكافأة على يد لايستطيع أداء حقها إلا بالشكر كما قال امرؤ القيس بن حُجْر يمدح بنى تيم رَهْطَ المُعَلَّى :

أقر حشا امرىء القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

لان المعلى أحسنَ اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بنى أبيه فقيل لبنى تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لبيت امرئ القيس وقال أيضاً لسعد بن ضَباب بفتح الضاد ويقال له الضباب محلى بأل :

سأجزيك الذى دافعت عنى ومايجزيك عنى غير شكرى

فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته

كان هذا شأنهم الى أن نشأ النابغة الذبيانى فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر فسقطت منزلته وقد تكسب مالا كثيراً حتى كان أكله وشربه فى صحاف الذهب والفضة من عطاء الملوك ومثله زهير بن أبي سُلمى تكسب بالشعر يسيراً[2] من هرم بن سنان. والاعشى جعل الشعر متجراً يتجر به. وجاء بعده الحطيئة فأكثر من السؤال والالحاف حتى مقت الشعر وذل أهله .

﴿ الشاعر والخطيب والشعر والخطابة ﴾

كان الشاعر فى بدء الامر قبل الاستجداء بالشعر أرفع منزلة من الخطيب فلما تكسب به الشعراء وجعلوه طعمة[3] وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة

---

(١) الفكاهة الاطراف بملح الكلام والمزاح يقال فكهه بملح الكلام أطرفه والاسم الفكاهة بالضم والفكيهة قال الجوهرى الفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا (٢) يسيرا واسعاً من اليسر (٣) أى طريق كسب

أرفع من الشعر والخطباء أرفع من الشعراء .

﴿ تنقل الشعر في قبائل العرب ﴾

قال قوم كان الشعر فى الجاهلية فى ربيعة ومنهم مهلهل واسمه عدى والمرقشان الاكبر والاصغر (واسم الاكبر عوف بن سعد وقيل عمرو واسمُ الاصغر عمرو بن هرملة) وطرفة بن العبد والحرث بن حلزة والمتلمس والاعشى ثم تحول الشعر الى قيس ومنهم النابغتان الذبيانى والجعدى وزهير بن أبى سلمى وابنه كعب ولبيد والحطيئة ثم استقر فى تميم ومنهم أوسُ بن حَجَر شاعر مُضَر فى الجاهلية ولم يتقدم منهم أحد حتى نشأ النابغة وزهير فخملاه . هذا والشعراء المعروفون عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال

قال رِكردينُ بن مِسمع : جاء فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء . فقال لهم ماجاء بكم ياخبثاء . قالوا جئناك نتحدث . قال كذبتم . ولكن قلتم كبر الشيخ فنتلعبه عسى أن نأخذ عليه سقطة فأنشدهم لمائة شاعر وقال مرة أخرى لثمانين كلهم اسمه عمرو فهذا ماحفظه أبو ضمضم ولم يكن أروى الناس وما أقرب أن يكون من لايعرفه من المسمينَ بهذا الاسم أكثر ممن عرفه

﴿ علم الانساب والحاجة اليه ﴾

ومن علومهم علم الانساب وهو علم يعرف به انساب الناس وكان للعرب فى الجاهلية مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته فانه أحد أسباب الألفة والتناصر وهم كانوا أحوج الى ذلك اذ كانوا قبائل متفرقين وأحزاباً مختلفين ولم تزل نيران الحروب مستعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم ولاسلطان يخضعهم ويكفُّ الاذى عنهم

﴿ طبقات الانساب ﴾

الاشهر أن طبقات الانساب ست وهى على هذا الترتيب من أعلى جد إلى أقرب أب : شعب . قبيلة . عمارة . بطن . فخذ . فصيلة ... فالشعب النسب الا بعد مثل عدنان وقحطان وسمى شعباً لان القبيلة منه تشعبت ثم القبيلة وهى ما انقسمت فيها أنساب الشعب مثل ربيعة ومضر وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها ثم العمارة وهى ما انقسمت فيها أنساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بنى عبد مناف وبنى مخزوم . ثم الفخذ وهو ما انقسمت فيه أنساب البطن مثل بنى هاشم وبنى أمية ثم الفصيلة وهى ما انقسمت فيها أنساب الفخذ مثل بنى أبى طالب وبنى العباس . فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل

﴿ بعض من اشتهر من العرب بمعرفه النسب ﴾

منهم سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ودَغْفَلٌ وقصتهما مشهورة في كتب الادب تذكر فى الكلام على المثل « إن البلاء موكل بالمنطق » ومنهم سعيد ابن المسيب .

﴿ المصطلح عليه فى اسماء القبائل ﴾

اعلم أن أسماء القبائل فى اصطلاح العرب على خمسة أضرب :

الاول أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومدين ومن شاكلهم وبهذا ورد القرآن الكريم : « وإلى عاد وإلى ثمود وإلى مدين » يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين وأكثر مايكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام

والثانى أن يطلق عليها لفظ الابن مجموعا فيقال : بنو فلان وأكثر ما يكون ذلك فى البطون والافخاذ

والثالث أن يرد ذكر القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجعافرة

ونحوها وأكثر ما يكون ذلك فى المتأخرين

والرابع أن يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل مُر وآل عليّ وأكثر ما يكون ذلك فى الازمنة المتأخرة ولا سيما فى عرب الشام فى زماننا

والخامس أن يعبر عنها بأولاد فلان ولا يوجد ذلك الا فى المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة كقولهم أولاد قريش

هذا واذا كان فى القبيلة اسمان متوافقان كالحرث والحرث وأحدهما من ولد الآخر أو بعده فى الوجود عُبر عن الوالد أو السابق منهما بالاكبر وعن الولد أو المتأخر بالاصغر وربما وقع ذلك فى الاخوين اذا كان أحدهما أكبر من الآخر « كالمرقش الاكبر والمرقش الاصغر »

﴿ النقل فى أسماء العرب ﴾

أسماء غالب العرب منقولة اما عما يدور فى خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه وإما عن الحيوان المفترس كأسد ونمر . وإما عن النبات كحنظلة . وإما عن الحشرات كحية وحنش . وإما عن أجزاء الارض كفهر وصخر

﴿ ما يغلب فى اسماء أبناء العرب والموالى ﴾

الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الاسماء ككلب وحنظلة ومرة وحرب وتسمية عبيدهم بمحبوب الاسماء كفلاح ونجاح ورباح

وتعلم علة ذلك مما حكى أنه قيل لابى الدُّقيش الكلابى لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح ؟ فقال : انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لأنفسنا « يريد أن الابناء معدة للاعداء فاختاروا لها شر الاسماء والعبيد معدة لانفسهم فاختاروا لأنفسهم خير الاسماء » اه ص ٣١٢ (صبح الاعشى)

« علم الاخبار »

ومن علومهم علم الاخبار واستمداده من شعرهم ومن تتبعه تبين له ما كان للعرب الاولين من اليد الطولى والقدم الراسخة في معرفة أخبار الامم الخالية وأخلاقهم وسيرهم ودولهم وسياستهم ولذا قيل الشعر ديوان العرب وسجل أخلاقهم وخزانة معارفهم ومستودع علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم ومرجعهم عند اختلافهم في الانساب .

الشعر يحفظ ما اودى الزمان به　　　والشعر أفخر ما ينبي عن الكرم

لولا مقال زهير في قصائده　　　ما كنت تعرف جودا كان في هرم

فمنه دون الناس أيامهم وحروبهم ومنه عرف المعمرون ومنه عرفت أخبار ملوكهم وأحوالهم ومنه عرفت أحوال شعرائهم وما كان عليه العرب أيام جاهليتها من الاديان والاحوال والعادات

﴿ علم الطب ﴾

كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبنى في الغالب على التجربة المتوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه وقد كان في الجاهلية أطباء موسومون بالحذق والرياسة في هذا الفن عدا من كان منهم في اليمن وعند التبابعة فإنه لا يمكن حصرهم — ومن مشاهير أطباء العرب الحرث بن كَلَدَة الثقفى وهو من الطائف سافر الى البلاد وتعلم الطب وعرف الداء والدواء وكان تعلمه بفارس واليمن وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الراشدين وأيام معاوية . وكانت له معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة

وله كلام مستحسن في الطب فمنه وقد احتضر فاجتمع اليه الناس وقالوا مُرْنا بأمر ننتهى اليه بعدك فقال : البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد . ومنه :

لا تتزوجوا من النساء الا شابة ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ولا يتعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء . واذا تغدى أحدكم فلينم عقب غدائه وإذا تعشى فليخط أربعين خطوة

ولم يكن علمهم بالطب مقصورا على طب الآدميين بل كان لهم معرفة تامة بأدواء الخيل وغيرها من ذوات الاربع وأدويتها وقد روت عنهم الرواة الثقات في ذلك أخبارا طريفة

ومن معارفهم العيافة . القيافة . الفراسة . الريافة .

العيافة هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وأتجاهها وممراتها وبذلك يتفاءلون ويتشاءمون .

والقيافة تكون بتتبع أثر الاقدام والاخفاف للاستدلال على أصحابها ومن فوائدها الاهتداء الى الفارّ من الناس والضال من الحيوان وتكون أيضا بتوسم هيئة الانسان وشكله للاستدلال على نسبه وممن اشتهر من العرب بذلك بنولهب

والفراسة الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله وألوانه واقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله وقد نبه الله سبحانه وتعالى على صدق الفراسة بقوله (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله (تعرفهم بسيماهم) وقوله (ولتعرفنهم في لحن القول)

والريافة : معرفة استنباط الماء من الارض بوساطة بعض الامارات الدالة على وجوده كشم التراب ورائحة بعض النباتات وحركة حيوان بعينه وهي من الفراسة

﴿ علم الاجرام العلوية والآثار الجوية ﴾

ومن العلوم التى اشتهروا بمعرفتها العلم بالاجرام السماوية والآثار الجوية واستمداده مما صح نقله عنهم من الامثال والاقوال التى تدل على أنهم بحثوا عنها (الاجرام العلوية والآثار الجوية) وانهم اشتغلوا بالرصد ومعرفة حركات الكواكب وطلوعها وغروبها وبخاصة ما يتعلق به غرضهم وتمس اليه حاجتهم . وقد ألف السلف من ائمة اللغة فيما كان لهم من ذلك كتبا جمعوا فيها ما كان للعرب من العلم بالسماء وانم

هذه الكتب فائدة كتاب أبي حنيفة الدينوري فانه تضمن ما كان للعرب من العلم بالسماء والانواء [1] ومهاب الريح وتفصيل الازمان ومن علومهم ايضاً علم الاهتداء في البراري وهو علم تعرف به أحوال الامكنة. وطريق معرفة ذلك رائحة التراب ومسامتة الكواكب الثابتة ومنازل القمر فان لكل بقعة رائحة خاصة بها ولكل كوكب سمتا [2] يهتدى به قال تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » ونفع هذا العلم عظيم . هذا ولهم معارف اخرى غير هذه نكتفي بسرد أسمائها لأن الكلام عليها مفصلا يمنعنا الكلام على باقى الموضوعات التى تثبت أنه كان لقوم حضارة قائمة على مثل ما قامت عليه حضارة غيرهم « من عادات وأخلاق وعلوم ومعايش وشئون أخرى أنبأنا بها المنثور والمنظوم من كلامهم » كالكهانة والعرافة وتعبير الرؤيا والزجر والرمى بالسهام وعلم نزول الغيث والرياح وأوصافها والسحب وأنواعها والرعد والبرق والملاحة والكتابة

﴿ معايش العرب وأسبابها أيام جاهليتها ﴾

كل امة لابد لها مما يقوم بضروريأتها وحاجياتها والعرب من الامم القديمة العهد وقِدَمُ عهدها ربما كان سببا فى خفاء كثير من أحوالها وطمس كثير من معالمها على من جاء بعدها وإن تكن لغتها منثورها ومنظومها قيد الشوارد ونطقا بما أُسدل عليه سدولُ الخفاء

وأشهر أسباب معايشها التجارة والصناعة (ويدخل تحت الصناعة صناعة البناء والنجارة والحدادة والحياكة والخياطة) ويدل على أن هذه الصناعات كانت لها ورودُ اللغة بأسماء آلاتها

وأشرف هذه الاسباب عندها التجارة وبخاصة سكنة الحجاز وبعض نجد وما شابهها من النواحى المقحطة والبلاد قليلة الخِصب فكانت العرب تتمادح بكسب المال

---

(١) الانواء جمع نوء وهو سقوط النجم وطلوع الآخر ومن قولهم (مطرنا بنوء كذا) (٢) من معانى السمت : الطريق والقصد

وكان لقريش رحلتان رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى بُصْرى من أرض الشام وكانوا فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ـ هذا ما كان من قريش وسائر أهل الحجاز وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر فكانت تجارتهم كثيرة ومعايشهم خفضة لما فى بلادهم من الخصب والنماء والرخاء والذخائر المتنوعة والمعادن الكثيرة المختلفة وغيرها من أسباب الثروة والغنى ـ ومن أجدى أسباب معايش العرب الفلاحة وبخاصة سكنة اليمن والبحرين وعمان وهجر وبعض بلاد نجد لان سكان هذه البلاد غالب معايشهم من الحرث والغرس ولهم بغرس النخل اهتمام عظيم . ومن اطلع على الكتب المؤلفة فى النبات والشجر مثل كتاب (أبى حنيفة الدينورى) تبين ذلك . ولغتهم شاهدة عدل عليه

مما تقدم علمت أنه كان لامة العرب حضارة قائمة على مثل ما قامت عليه حضارة غيرها من الامم المتمدينة من عادات وصفات ومعارف ومعايش وحكومات وقد أنبأنا بذلك كله بليغ لسانهم وفصيح كلامهم منظومه ومنثوره : —

﴿ الكلام على لسان العرب ﴾

قال شيخنا الشيخ حسين المرصفى رحمه الله تعالى فى الوسيلة الادبية وأما لسانهم فهو هذا اللسان الذى يتكلم به أهل الحجاز ومصر واليمن والشام وغرب مصر غير أنه على صورة فاسدة خرج بها من كونه لسانا عربيا وصار يقال له لغة عامية

﴿ مراتب الاستحسان الذى دخل فيه ﴾

وقد دخل فيه الاستحسان على أربع مراتب : —

المرتبة الاولى : استحسان قدماء العرب الذين هم العاربة وهم أولاد قحطان قبل دخول اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فيهم ويسمَّوْن بالعرب القحطانية نسبة الى قحطان الذى يقال إنه أول من تكلم بالعربية ومنه كان نشوءها فانهم كما قيل كانوا يأخذون بعض الالفاظ من اللغات فيختصرونها ويغيرون أشكالها إلى أن تصير عذبة

حكى صاحب المثل السائر أنه ورد فى بعض سياحاته مصر فلقى رجلا من بنى إسرائيل عالما فجرى بينهما ذكر اللغة بالفصاحة والملاحة فقال اليهودى لم لا تكون فصيحة مليحة وهى منتخبة من اللغات . ومثَّل لذلك بلفظ الجمل فقال إنه كان بالعبرانية كوميلا فغيّر الى ماسمعت فصار عذبا فصيحا

المرتبة الثانية : — استحسان اسماعيل عليه السلام وأوائل أولاده فقد كانت له لغة عربية فصيحة تنسب اليه بشهادة قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل مالك يارسول الله أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا .

فقال ان لغة اسمعيل كانت دَرَسَت فجاءنى بها جبريل فحفظتها . ويقال لاسمعيل وأولاده العرب المستعربة. ومما ذكر يعلم أن العرب التى تتكلم عن لسانها قسمان : عرب عاربة ومستعربة الاولى قحطان قبل دخول اسمعيل والثانية اسمعيل وأولاده بعد دخوله فى العرب .

وسبب دروس لغة اسمعيل ما جرى بين أولاده من الحروب الضُرُس « جمع ضروس وهي فى الاصل الناقة التى تعودت العض بضرسها ثم استعمل فى الحرب التى فنى فيها منهم كثير وتشتت منهم فى البلاد كثير وبحكم العادة أنه اذا خالط انسان أهل لسان غلب عليه وغيّر لسانه

﴿ استطراد ﴾

وسبب دخول اسماعيل عليه السلام فى العرب وانتقاله من أرض كنعان التى كانت مُهاجر أبيه من بلدة أرفة الى أرض الحجاز أن ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما خرج من بلده لاسباب اقتضت ذلك توطن أرض كنعان من الشأم جوار بيت المقدس وأخذ يطوف البلاد فلما نزل مصر كان بها اذ ذاك ملك جبار من حاله أن له عيونا ينظرون له فى المتوطنين والاغراب فمتى رأوا امرأة جميلة حملوها له فعثر بالسيدة سارَة زوج ابراهيم عليه السلام فحملوها اليه وأخذ ابراهيم فى توصيتها يقول :

تعلمى أنه ليس على وجه الارض مؤمن غيرى وغيرك ولما سئل عنها ابراهيم

قال هى أختى (أى فى الدين) فلما وصلت سارة الى الملك همّ بالدنوّ منها ففزعت الى الله تعالى وقامت تصلى فارتعدت فرائص الملك وعجز عن الحركة وخضع لها وسألها أن تدعو ربها الذى قامت تعبده وفعل به ماحصل له فدعت فسرّى عنه ثم تكرر هذا الحال مرارا حتى أيقن انه من ربها الذى تعبده فعند ذلك أخذ فى إكرامها وإجلالها هى وزوجها وأهدى إليها مما أهدى من التحف والكرامة جارية اسمها هاجَرَ (ويقال لها آجر أيضا) فأخبرت ابرهيم بما جَرى وأهدته تلك الجارية فواقعها فولدت اسمعيل

ولحقت سارةَ الغيرةُ الطبعية وخافت الافتتان فى دينها فسألت ابرهيم أن يغيب الجارية وولدها فأوحى الله الى ابرهيم أن أسكنهما مكة فحملها اليها وهى حينئذ ليس بها أنيس لكونها لاماء بها ولامرعى فاكرم الله اسمعيل فاخرج له هنالك ماء كثيرا طيبا ومرعى . واتفق أن جاز بعض العرب وهم ناس من قبيلة يقال لها جرْهُم (الثانية) بنواحى مكة فوجدوا الطير صاعدا هابطا بذلك الموضع فقصدوه فوجدوا هنالك هاجر وابنها وسألوها أن ينزلوا معها بذلك الموضع فاشترطت عليهم شروطا عاقدوها عليها وسكنوا معا وعمرت تلك الناحية وكان ما كان من كِبَرِ اسمعيل وتزوجه فى جرهم وتجديده مع أبيه الكعبة وغير ذلك فاسمعيل أول دخيل أعجمى فى ولد قحطان الذين هم العرب العاربة

﴿ استطراد ﴾

ثم كانوا بعد ذلك يتحاشَوْن غاية التحاشى مداخلة العجم حتى إن إيادا أحد الشعوب الاربعة لما ساكنت الفرس وخالطتهم سقطت منزلتهم بين العرب واحتُقروا احتقارا شديدا وعُدُّوا من العجم وانقيت مداخلتهم . يرشدك الى تحقق ذلك أن قبيلتى تغلب وبكر اللتين يجمعهما وائل من بنى ربيعة قوى أمرها وعزا فى العرب وقهرا كثيراً من الناس وفى بعض الايام نزل منهم رجل (اسمه لُكَيْزٌ) بناحية

قرية من بلاد الفرس من منازل إياد وكانت معه ابنته ليلى وكانت من أجمل نساء العالم فوشى بها رجل من إياد يقال له بُردٌ كان من خاصة ملك الفرس إذ ذاك فقال له الملك وما عسى أن نبلغ منها والعربية تقدم القتل على أن يغشاها عجمى فقال ترغبها بمحاسن المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وكثرة المال والخول وتم بينهما ذلك الخيال وأرسل الملك فاغتصبها من أبيها ثم عرض عليها جميع المشتهيات وخوفها بجميع العقوبات ومسها بكثير من المؤلمات ليرى وجهها فأبت وخيرته بين أن يقتلها أو يعيدها الى أبيها فلما يئس منها أسكنها فى موضع وأجرى عليها الوظائف الترفهية واكتفى برؤية قامتها لابسة ملابسها فى بعض الاحيان. وبسبب ذلك نشبت الحرب بين الفرس والعرب حتى قهر العربُ الفرسَ وأخذوا كثيرا من بلادهم. وكان من بنى بكر فارس يقال له البرّاق يهوَى ليلى هذه وهى تهواه فخطبها من أبيها فامتنع فاشتد بينهما الحب والبراق لايرضى بقهر أبيها مع تمكنه من ذلك وأشارت عليه العرب به فما زال يحتال حتى خلصها وقتل ملك الفرس

ومن كلام ليلى بنت لكيز هذه فى أثناء ماحصل لها :

ليت للبراق عيناً فترى   ما ألاقى من بلاء وعنا
ياكليباً وعُقيلا إخوتى   ياجُنيْداً أسعدونى بالبكا
عُذِّبت اختكو ياويلكم   بعذاب النكر صبحاً ومسا
غللونى قيدونى ضربوا   ملمس العفة منى بالعصا
يكذب الاعجم مايقربنى   ومعى بعضُ حشاشات الحيا
قيّدونى غللونى وافعلوا   كل ماشئتم جميعا من بلا
فأنا كارهة بغيكم   ويقين الموت شىء يُرتجى
يابنى كهلان يأهل العلا   أتدلون علىّ الاعجما [1]

---

(١) منهم برد الذى دل وجعلتهم أهلا للعلا تهكما بهم

يا إيادا خسرت أيديكمو | خالط المنظرَ من برد عمى[1]
فاصطبارا وعزاء حسناً | كل نصر بعد ضرٍّ يرتجى
أصبحت ليلى تغلل كفَّها | مثل تغليل الملوك العظما[2]
وتقيَّد وتكبَّل جهرة | وتطالب بقبيحات العنا
قل لمدنان هُديتم شمّروا | لبنى مبغوض تشمير الوفا
واعقدوا الرايات فى أقطارها | واشهروا البيض وسيروا الى ضحى
يا بنى تغلب سيروا وانصروا | وذروا الغفلة عنكم والكرى
احذروا العار على أعقابكم | وعليكم ما بقيتم فى الدنا[3]

وللعرب في ذلك المعنى وقائع كثيرة

المرتبة الثالثة : استحسان قريش وهم سكان مكة وما حولها فقد كانت العرب ترد اليهم فى موسم الحج كل سنة فيقيمون عندهم قريباً من خمسين يوما ثلاثة أيام بسوق ذى المجاز « موضع قريب من ينبع » وسبعة بسوق مجنّة « موضع قريب من مكة » وثلاثين بسوق عكاظ « سوق بصحراء بين نخلة والطائف » والباقي فى مواضع مناسك الحج فيعرضون أشعارهم ويتحاكمون فى قضاياهم ويتعاتبون الى غير ذلك من الامور التى تقتضى كثرة المقاولة فكانوا ينتخبون من لغات العرب ما حَلا فى الذوق وخف على السمع مثلا يسمعون الحوجم والحوجمة والورد والوردة فيستعملون الورد والوردة ويتركون الحوجم والحوجمة هذا ما كان قبل مجىء الاسلام

المرتبة الرابعة : — لما جاء الاسلام وحصلت الدعوة إلى الاجتماع العام والمخالطة الشاملة جاءت تلك المرتبة الرابعة من الاستحسان وهو استحسان فطناء الناس من بقايا العرب وغيرهم الذين نصبوا أنفسهم لضبط اللغة العربيـة مفردات ومركبات

---

(١) الذى دل عليها (٢) تغلغل تقيد والبيت احتقار لاعمالهم اذ فعلوا بها التغلل ومن حقه أن يفعل بالملوك وهى امرأة ضعيفة (٣) الدنا جمع دنيا

وتدوينها فى كتب ونوعتهم مقاصدهم أنواعاً فنهم نقلة المفردات على صورها مع بيان معانيها ذاهبين الى تمييز اللغات وتنويعها الى ردىء[1] وغير ردىء وحُوشى وغريب ومأنوس ومستعمل . ومنهم نقلة صور المركبات منبهين على اختلاف معانيها باختلاف صورها ذاهبين أيضاً الى تمييز الفصيح من غير الفصيح ومنهم نقلة الاشعار والخطب وعالى الكلام منبهين على محاسن السياقات ولطائف العبارات وعلى توسع العرب فى الاستعمال ومن ذلك تنوعت العلوم الباحثة عن اللغة العربية مميزة بالالقاب وجهات البحث .

﴿ الداعى الى الاهتمام بالتفتيش عن اللغة ﴾

والذى دعا الناس الى النهوض والتفتيش عن أحوال اللغة العربية أن العرب لما بعثها الاسلام فى البلاد واختلطت بغير جنسها اختلاط المعاشرة والمصاهرة حصل فى مدة يسيرةٍ تغيّرٌ عظيم فى اللغة وفشا بين الناس اللحن وصار من يضبِط لسانه من العرب عن اللحن يفتخر بذلك كما ورد أن خالد بن يزيد بن معاوية حضر يوماً مجلس عبد الملك فكان من كلام خالد التمدح بالسلامة من اللحن والغضّ من الوليد لكونه لحاناً . ولبعض شعراء العرب :

أبا ضُبيعة لا تعجلْ بسيئة ... إلى ابن عمك واذكره باحسان

إما ترانى وأثوابى مقارِبة[2] ... ليست بخز ولا من نسج كتّان

فإن فى المجد همّاتى وفى لغتى ... علويةٌ[3] ولسانى غير لحّان

ومما ذكر تعرف الداعي إلى وضع النحو

﴿ الداعى الى وضع النحو ﴾

روى أن أبا الاسود الدؤلى قالت له ابنته ليلى : يا أبت ما أحسنُ السماء . فقال : نجومُها

---

(١) ردىء : غير مألوف (٢) متقاربه : أى وسط (٣) علوية نسبة الى العالية على غير قياس وهي ما فوق أرض نجد الى ماوراء مكة وهي الحجاز وما والاه

فقالت أنا مخبرة لاسائلة فقال لها كان يلزم أن تقولى ما أحسنَ السماء . فلما أصبح أخبر بذلك علياً رضى الله عنه وسأله النظر فى طريقة لحفظ اللغة العربية من الضياع فقال له على كرم الله وجهه « الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى » فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما ليس كذلك ثم قال انح هذا النحو يا أبا الاسود ومن هذا جاء الاسم للعلم الباحث عن المركبات فبدأ له علم النحو وتكلم أبو الاسود بعد ذلك فيه وأخذ الناس فى تتميمه .

ولاعجب أن يسرع الفساد الى اللغة العربية . والأطفال يتعلمون التلفظ أولا من أمهاتهم فإذا كنّ عجميات لا يقدرن على التكلم بصحيح اللغة فكيف تبقى صورتها سليمة .

﴿ زمن ابتداء التعليم بالانتداب والدعوة ﴾

وقد ابتدىء التعليم والتأديب فى أوائل ملك بنى امية فكان الملك يُحضر لاولاده وأولاد اتباعه من العلماء من يؤدبهم ويعود ألسنتهم الكلام بفصائح اللغات ويلقنهم مختار الاشعار . ثم أخذ نطاق التعليم يتسع بتزايد انتشار المعلمين فى البلاد . هذا ، ولا بأس بالتنبيه على البعض الذى فسدت صورته ليظهر الداعى الى وضع بعض العلوم كالصرف واللغة غاية الظهور . فمن ذلك ابدال « الذال دالاً » كما هو الحال عندنا فيقولون فى ذا و ذى دا و دى وابدال « القاف همزة » فيقولون فى حاذق حادىء بابدال الذل دالا والقاف همزة . وابدال « الثاء تاء أو سينا » فيقولون فى ثابت تابت وسابت وفي ثوب توب وفى ثم سمّ وابدال « الجيم شينا وزيادة بعض الاحرف » فيقولون في وجه وش ويقولون إوعه والصواب عه . ومن ذلك ابدال الحركات وزيادة بعض الاحرف فيقولون فلان يُوعِد ويِخْلِف والصواب يَعِد ويخلِف فهذا وأمثاله أوجب وضع علم الصرف ومتن اللغة

﴿ اشتمال اللغة العامية على كثير من الالفاظ العربية ﴾

وهذه اللغة التى فسدت صُوَرُها وسميت العامية مشتملة على كثير من الالفاظ العربية الصحيحة ومتضمنة كثيرا من محاسن السياقات والمقامات ولطائف الكنايات وغير ذلك من الامور التى يُسمَّى العالم بها العامل بمقتضاها فصيحا بليغا كما تبين ذلك عند تعلمك علوم البلاغة. فإذا تأمل المتعلم فى كلام الناس سهل عليه كثير من المسائل التى صعَّبتها وأبعدت فهم معانيها العبارات الاصطلاحية والمناظرات فيها

﴿ ما كانت عليه المدارس منذ بدء الاسلام الى وقتنا ﴾

قد رأيتُ لاتمام الفائدة ان أضمن هذه المذكرات ما أملاه علينا شيخنا الشيخ حسين المرصفى أسكنه الله الجنة وتغمده بالرضوان والرحمة وقرأناه عليه قال . وأمَّا ما كان عليه المدارس منذ بدء الاسلام الى وقتنا هذا فهو على سبيل الاجمال:

إن المدرسة عبارة عن مجموع ناس يجتمعون فى أوقات يعينونها وأما كن يُخصصونها لتعليم ما يرون لزوم علمه ومذاكرته ليثبت فى النفوس وتجرى عليه الاعمال وتكاليف الحياة

فكان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس في مكانه الذى عينته له رتبته فيسمعون منه ما يتعلمون وبه يَرشُدون ويتأدبون ثم ينفرون بَعدُ وينتشرون ليعلم كل من عرف شيئا غيره ممن لم يحضر أو حضر ولم يفهم حق الفهم ومع ذلك اتخذ المسلمون بأمره صلى الله عليه وسلم داراً للتعليم سموها دار القراء .

وجرى العمل بعد ذلك على هذه الصورة . فكان بعض العلماء يتخذون المساجد لمدارسة العلم وبعضهم يتخذ من داره موضعا يتلقى فيه من يتردد اليه من أبناء الامراء وأولاد الكتبة ومياسير الناس يعلمهم من العلوم مايتوصلون به الى وظائف الخدم العالية ويأخذ منهم من الأجر مايقوم بشئونه ويصل به الى رفاهة البال ونعمة الترف وربما

وقعت المشارطة على اقراء كتاب بعينه بمبلغ يتفقان عليه وبعضهم يستأجر لتعليم الجوارى المنتقيات من مولّدات نجد والحجاز وغيرهما فقد كان عادة في تلك العصور أن يشترى بعض اكابر التجار عدة من الجوارى يؤدبهن ويعلمهن ويروبهن الاحاديث والأخبار والأشعار ويعرفهن الموسيقا الى غير ذلك حتى اذا حَذِقت الواحدة منهن ذلك بما لها من الذكاء والفطنة ومَهرت فيه باعها بالثمن الغالى في دور الملوك والامراء وذوى الغنى واليسار كما يطلعك عليه مثل مايحكى عن أبي عثمان المازنى أحد أكابر علماء اللغة العربية إذ ذاك وهو أنه حضر لديه رجل من أهل الذمة وسأله أن يقرئه كتاب سيبويه بثلثمائة دينار فأبى ذلك على شدة احتياجه فلامه اخوانه على إبائه فقال اعتذاراً عن ذلك نظرت فى هـذا الكتاب فوجدت فيه ثلثمائة آية من كتاب الله تعالى فلم أجد من نفسى سماحة بالمدارسة فيها مع غير مسلم واتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق خليفة ذلك الوقت بقول الشاعر :

أظلومُ إن مصابكم رجلا ردّ السلام تحية ظلم

فاختلف الحاضرون فى نصب رجل ورفعه وأصرت الجارية على نصبه وقالت هكذا أقرأنيه شيخي أبو عثمان المازنى . فأمر الخليفة باستحضاره على خيل البريد وبعث له نفقة الطريق . فلما حضر ودخل المسجد أخذ يؤانسه فسأله أولا عن اسمه وقال باسمك (بابدال الميم باء على لغة مازن قبيلة الشيخ فإنها تبدل الميم باء والباء ميما إذا كانتا فى أول الكلمة) فأجابه بكر على غير لغته كراهة أن يواجه الخليفة بكلمة مكر

ثم سأله هل لك ذرية . فقال ابنة واحدة فقال له ماذا قالت لك عند وَداعك وماذا قلت لها . فقال انشدتْ قول الشاعر :

أيا أبتـا لا ترِمْ عنـدنا فإنا بخير اذا لم ترِمْ

أرانا اذا أضمرتك البلا دُ نُجفَى وتُقطع منا الرحم

فأجبتها بقول جرير :

نثق بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال الخليفة : نجاح ان شاء الله ثم سأله عن البيت وذكر له القصة فأجابه : أن لفظ رجل منصوب على أنه مفعول به للفظ مصاب الذي هو مصدر ميميٌّ مضاف الى فاعله واقع فى محل أن تصيبوا . فأجازه الخليفة بألف دينار وأهدته الجارية هدية نفيسة وكذا كل من حضر فرجع الشيخ الى البصرة بمال عظيم . وبقية العلماء كان تعيشهم من أشياء كانت تصرف لهم من بيوت الأموال ومن هدايا مياسير العامة . فان الناس اذ ذاك كان اتجاههم للدين وحملته . واحترامهم إياهم فى الدرجة القصوى فكانوا مع ذلك لا يعوقهم عن الاشتغال بالعلم عائق . فمن المنقول عن الشافعى رضى الله عنه « لو كلفت بصلة مافهمت مسئلة » ويحكى أن الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه أراد فى صغره أن يحترف بصناعة الموسيقا فنصحته والدته وقالت عليك بعلم لا يُحتاج معه الى جمال المنظر . وصحح بعض العلماء أن هذه القصة كانت مع غير الامام . فكانوا رضى الله عنهم أغنياء دون ضيعة تزرع لهم ولا أملاك يستغلونها . وآخر جهة يُتعيَّش بها رواتبُ الوظائف التى كان يقلدها بعض مشهورى العلماء كالقضاء والحسبة عند حدوثها وهى الاشراف على الموازين والمكاييل والمقاييس وأثمان المسعرات التى أفتى بعض العلماء بجواز تسعيرها لشدة الحاجة اليها كالخبز والأدْم . وبقيةُ الاشياء التى تعظم أثمانها لا يجوز تسعيرها لقوله صلى الله عليه وسلم « دعوا الناس يرزق بعضهم من بعض » ولدفع الاضرار التى تنشأ عن ذلك فتح الشارع في المبايعات باب اشتراط الخيار الى ثلاثة أيام بأن يقول مريده بشرط الخيار أو يقول : لا خلابة (بكسر الخاء وهي لغة المخادعة) وضعها الشارع لذلك . ومن لم يشترط الخيار وغُبن بأن بيع له شىء بما يزيد على قيمته المعروفة لمثله عند أهل الخبرة العارفين بقيمة تلك الأشياء قال بعض العلماء لا يستحق الرد بالغبن وان

كان فاحشا لتقصيره لأنه لم يوسط عارفاً ولم يشترط الخيار . وقال بعضهم يستحقه ان كان الغبن فاحشاً وغره البائع وخدعه .

ذلك ما كان عليه أمر تحصيل العلوم الدينية وأما بقية العلوم اللازمة للحياة الانسانية وأعمالها كالطب والهندسة فكان تعلمها بالتبع كما هو شأن تعلم الصنائع الذى نشاهده اليوم فكان الطبيب مثلا يتبعه ناس يخدمونه في الاعمال الطبية وفي أثناء ذلك يحفظون مفردات العقاقير ويعرفون كيف تستعمل مفردة ومركبة معاجين وسفوفاً وغير ذلك من فروع الطب . فمتى حذق الواحد منهم وعرف الأمراض وأسبابها وعلاماتها وكيف تعالج وما تعالج به أعطاه رئيسه شهادة بذلك وأذن له أن يتصدى للطب بأن يكون طبيباً يعالج أو صيدلياً يحضر أصناف الادوية ليبيعها للاطباء .

ولم يزل حال المدارس الاسلامية على ما وصفنا حتى كانت أيام المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق بالله أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر فانه لما أراد بناء قصره بالشماسية من نواحى بغداد استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد أن يبنى دوراً ومساكن ومقاصير ويرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجرى عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس مايختاره فيأخذ عنه . ثم أخذ الامراء ومياسير الناس من ذلك العهد فى بناء المدارس

وكان ابتداء ذلك بنيسابور من بلاد خراسان في أيام بنى سُبُكْتكين فكان الواحد منهم يبنى المدرسة لدراسة فقه مذهب أو مذهبين أو الاربعة أو قراءة الحديث لايتجاوزون ذلك ويقف عليها جهات تكفى غلتها الموظفين بها واستمر ذلك عصراً بعد عصر حتى قامت مدارس كثيرة في بلاد الاسلام من خراسان والعراق والشام ومصر وغيرها. فاذا طال العهد بالمدرسة والناس يستغلون أوقافها دون التفات الى عمارتها

صارت الى التخرب وتوزعها الناس بلانشاء والعمارة والاجارات الطويلة التى يحصل منها ذلك الشيء الزهيد المسمى بالحكر وانسلخ عن المدرسة اسمها واتخذها الناس مسجداً للصلاة وسموها جامع فلان كما يقال جامع سرغتمش أو جهل اسم بانيها فلا يذكر كما يقال في المدرسة الكاملية التى بناها محمد الكامل بن العادل أحد ملوك بني أيوب بين القصرين زاوية السيد البدوي . ومن أراد أن يعرف الابنية الخيرية وانقسامها الى مدارس وجوامع فليرجع الى كتاب الخطط للمقريزى رحمه الله تعالى ففيه تفصيل ذلك اه

﴿ تقسيم الكلام العربى الى منثور ومنظوم ﴾

اعلم أن لسان العرب وكلامها على فنين منظوم ومنثور : —

فالأول هو الكلام الموزون المقفى أى الذى تكون أوزانه كلها على روى واحد . والثانى هو الكلام غير المنظوم

وكل واحد من الفنين له فنون « أي معان غلب تأديتها به »

فمن فنون الاول : — الحماسة والفخر والمدح والهجاء والتأديب والنسيب والرثاء والوصف والسير والنعاس والملح

ومن فنون الثانى : — الوصايا والحكم والامثال والخطب والرسائل والتأليف والترجمة والعقود والعهود والمرسومات

والنثر قسمان سجع وهو الذى يؤتى به قطعا يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة . ومرسل وهو الذى يطلق الكلام فيه اطلاقا ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ويستعمل هذا في الادعية والخطب والترغيب والترهيب والترجمة والعقود والعهود والتقليدات . والمحمود في المخاطبات عامة والرسائل الديوانية خاصة والمرسومات المرسل الذى هو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الأقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له واعطاء الكلام حقه في

مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من إيجاز أو اطناب أو مساواة أو تصريح أو كناية أو استعارة

هذا والقرءان الكريم وإن كان من المنثور خارج من نوعيه السابقين فلا مرسل مطلقا ولا سجع بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع بشهد الذوق بانتهاء الكلام في الآية الاخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا أو قافية . وقد خالف في ذلك صاحب المثل السائر فعد كلام القرءان الكريم من أشرف السجع

﴿ الشعراء قبل الاسلام ﴾

الشعراء قبل الاسلام يُسَمَّوْنَ « الجاهليين » والشعراء الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام يسمون « المخضرمين » والذين نشئوا بعد الاسلام الى آخر زمن الدولة الدولة الاموية يسمون « الاسلاميين » أو المحدثين وجميع هؤلاء يستشهد بكلامهم على سائر فنون العربية . ومن بعدهم يسمون « المُولدين » ولا يستشهد بكلامهم على فنون العربية اللهم الا في البلاغة

﴿ نماذج لبعض فنون المنظوم لبعض الجاهليين ﴾

الحماسة (هي لغة الشدة يقال حَمِسَ الرجل في الامر يحْمَسُ حَمَسًا وحماسة اذا أُشتد فيه وهو أحمس وحميس) ومن أمثالها لقيس بن الخطيم وهو شاعر جاهلي كان فارسا ومات على جاهليته وهو صاحب المنافسات مع حسان بن ثابت :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةَ ثائر ... لها نَفَذ لولا الشّعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفى فانهرتُ فتقها ... يرى قائمٌ من دونِها ما وراءها
يهون عليَّ أن تَرُدَّ جراحُها ... عيونَ الأواسى اذ حَمِدتُ بلاءها
وكنتُ امرءا لا أسمع الدهر سُبَّةً ... أُسبُّ بها الا كشفتُ غطاءها [1]

الثائر طالب الثأر . ثأره وثأر به قتل قاتلة وابن عبد القيس الذي قتله هو قاتل

وإني في الحربِ الضَّروسِ موكَّلٌ　بإقدام نفسٍ ما أُريدُ بقاءها
متى يأتِ هذا الموتُ لاتُلْفَ حاجةٌ　لنفسى إلا قد قضيتُ قضاءها [1]
ثأرتُ عديًّا والخطيم فلم أُضعْ　ولايةَ أشياخٍ جُعلت ازاءها [2]

ولعبد القيس في الحكم والمواعظ

وما بعض الاقامة في ديار　يهان بها الفتى الا بلاء

﴿ الفخر ﴾

ومن أمثلة الفخر ماجاء في معلقة عمرو بن كلثوم . وفي معلقة سيدنا لبيد . وفي معلقة عنترة والحرث بن حلزه — ومن أمثلة المدح ماجاء في ترجمة زهير له في هرم ابن سنان — وما قالته بنت لبيد مادحة ابن أبي مُعيط — وقول المرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم :

هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم　سوَّاسُ مكرُمةٍ أبناء أيسار [3]

أبيه . النفذ . الخرق أو الفتحة . الشعاع المتفرق (والمراد به هنا الدم) ملكت شددت وضبطت . أنهرت أوسعت . دون ووراء من الاضداد . الاواسى جمع آسية وهي الممرضة والمذكر آس وجمع المذكر آسون وأساة والفعل أسوت وانما ذكر النساء لأن العرب تأنف من الصناعات ويعلمونها العبيد والاماء وحرائر النساء احيانا اذا لم يكن في غاية بعيدة من الشرف . وقوله وكنت أمرأ البيت معناه « لا اترك ما أسب به ملتبسا على سامعه بل اكشفه ليعلم أنه مكذوب على »

(١) قضيت قضاءها فرغت منها . (٢) ثأرت عديا قتلت قاتله . وعدى جده — جعلت ازاءها — أقوم بها (٣) الهون والهوينى التؤدة والسكينة والوقار . رجل هين وهين . اللين — ضد الخشونة . ورجل لين ولين — ايسار جمع يسر يقال يسر الرجل ييسر اذا جال قداحه فهو ياسر ويسر وهو السهل أيضا والغنى . سواس مكرمة يروضون المكارم ويلون أمرها .

إن يُسألوا الحق يُعطوه وإن خُبِروا ... في الجَهْد ادركتَ منهم طيب أخبار
وإن توددتهم لانوا وإن شُهموا ... كشَفْتَ أذمار شرٍّ غيرَ أشرار [١]
فيهم ومنهم يعدُّ الخير متَّـلَداً ... ولا يعدُّ نثا خزيٍ ولا عار [٢]
لاينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ... ولا يمـارون إن ماروا بإكثار
من تلقَ منهم تقل لاقيتُ سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

ومن أمثلة الهجاء لطرفة بن العبد :

فرَّق عن بيتيكَ [٣] سعدَ بن مالك ... وعمرا وعوْفا ماتشى وتقول
وأنت على الادنى شَمال عريّة [٤] ... شآمية تزوى [٥] الوجود بليل [٦]
وأنت على الأقصى صباغيرُ قرَّةٍ ... تذاءب [٧] منها مُرْزغ [٨] ومسيل
وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذ ذل مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء مالم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

والمتلمس . وهو شاعر جاهلي مقل في الحث على حفظ المال واصلاحه وإن شئت فقل في استثماره :

وأعلم علم حق غير ظن ... وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المـال خيرمن ضَياعٍ ... وضربٍ [٩] في البلاد بغير زاد
واصـلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

---

(١) توددتهم اجتلبت مودتهم. شهموا اخيفوا وأفزعوا . أذمار شر الخ شجعان حرب ليست أخلاقهم سيئة والمفرد ذمر وهو الملازم (٢) متلداً قديما . نثا نشر واشاعة وانشاء يريد « لايعد فيهم اشاعة الخزى والعار » أى لاعيب فيهم ولا عار حتى يشاع . (٣) المراد بيتيه أعمامه وأخواله (٤) باردة (٥) تقبض وتكلح (٦) معهاندى ومطر (٧) جاء من كل جهة (٨) موحل (٩) ضرب سير .

وللمثَقّب العبدى. واسمه عائذ بن مِحصَنٍ وهو شاعر جاهلى قديم كان فى زمن عمرو بن هند في تكشيف حال من التبس عليه أمره:

فإما أن تكون أخى بحق فاعرفَ منك غثي من سميني [1]

وإلا فاطّرِحني واتخذني عـدوا أتقيك وتتقيني

وما أدرى إذا يممتُ أمرا أريد الخير أيهما يليني

أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغيني

ملاحظة: ارتباط البيتين الاخيرين بسابقيهما أنهما لبيان الحامل على طلب الوقوف على حال صاحبه فهو يقول أريد تبين حال صداقتك حتى اذا كشفتْ لى استرشدتك الى مافيه خيرى:

ولذى الإصبعَ العَدْوانى واسمه الحُرْثان بن مُحَرِّث من شعراء الجاهلية في التأديب:

أأُسيدُ إن مالا ملكـ ت فسر به سيرا جميلا [2]

آخ الكرام ان استطعـ ت الى إخائهم سبيلا [3]

واشرب بكأسهم وإن شربوا بها السم الثميلا [4]

أهن اللئام ولا تكن لإخائهم جملا ذلولا [5]

إن الكرام إذا توا خيهم وجدت لهم قبولا [6]

ودع الذى يعد العشـ يرة أن يسيل ولن يسيلا [7]

أبنىَّ إن المال لا يبكى اذا فَقَد البخيلا

---

(١) الغث النحيف. والسمين الضخم (٢) سيرا محمد عليه. (٣) الكرام جمع كريم. والكرم مجمع صفات الخير. آخهم. اتخذهم اخوانا

(٤) الثميل المنقع (٥) اللؤم مجمع صفات الشر. جملا ذلولا أى سهل الانقياد. ذل لان وسلس قياده (٦) رضا وصفات حميدة (٧) يسيل: أي يسرع في اجابة الدعوة

أأسيد إن أزمعت من | بلد الى بلد رحيلا (١)
فاحفظ وان شحط المزا | ر أخا أخيك أو الزميلا (٢)
واركب بنفسك ان همـ | ـت بها الحزونة (٣) والسهولا
وصل الكرام وكن لمن | ترجو مودته وَصُولا
ودع التوانى فى الأمو | ر وكن لها سَلِساً ذلولا
وابسط يمينك بالندى | وامدد لها باعا طويلا
وابسط يديك بما ملكـ | ـت وشيد الحسب الأثيلا (٤)
واعزم إذا حاولت أمـ | ـرا يَفرِج الهمَّ الدخيلا (٥)
واَحْلل على الايفاع لا | عافين واجتنب المسيلا (٦)
واذا القروم تخاطرت | يوماً وأرعدت الخصيلا (٧)
فاهصر (٨) كهصر الليث خضـ | ـب من فريسته التليلا
وانزل الى الهيجا اذا | أبطالها كرهوا النزولا (٩)
واذا دُعيتَ الى المهـ | ـم فكن لفادحه حمولا (١٠)

ولعبد القيس بن خُفافٍ البُرْجُمى:

ابنى إن أباك كاربُ يومه | فاذا دُعيت الى المكارم فاعجل
أوصيك إيصاء امرىء لك ناصح | طَبِنٍ بريب الدهر غير مغفل

---

(١) أي إن صممت على الرحيل من بلد الى آخر (٢) شحط أى بعد. الزميل الرفيق من غير سابق معرفة. (٣) الارض الغليظة. الحزن ماغلظ من الارض (٤) الحسب الشرف. الاثيل القديم (٥) المداخل المباطن (٦) الاعالى. والعافين طالبي الاحسان. وأبذل لضيفك ذات رحلك الناقة (٧) القروم جمع قرم وهو المكرم. الخصيل لحم الفخذ (٨) الهصر الكسر. والتليل العنق (٩) الهيجا. الحرب (١٠) الفادح. الباهظ

الله فاتقه وأوف بنذره ... وإذا حلفت مباريا فتحلل
والضيف أكرمه فان مبيته ... حق ولا تك لُعنةً للنزّل
واعلم بان الضيف مخبر أهله ... بمبيت ليلته وإن لم يسأل
وصل المواصل ماصفا لك وُدُّه ... واحذر حبال الخائن المتبذل
واحذر محل السوء لا تحلل به ... واذا نبا بك منزل فتحول
واستانِ حلمك فى امورك كلها ... واذا عزمت على الهوى فتوكل
واستغنِ ما أغناك ربك بالغنى ... واذا تصبك خصاصة فتجمل
وإذا افتقرت فلا تُرَى متخشعا ... ترجو الفواضل عند غير المُفْضَل
واذا تشاجر فى فؤادك مرة ... أمران فاَعمِدْ للأعف الأجمل
واذا هممت بأمر سوء فاتئد ... واذا هممت بأمر خير فاعجل
واذا رأيت الباهشين الى الندى ... غُبْراً أكفهمُ بقاع ممحل
فأعنهم وأيسِر بما يَسَرُوا به ... واذا همو نزلوا بضنك فانزل

ولأوس بن حَجر في وصف السحاب وقد أحسن فيه وقيل لعبيد بن الابرص:

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيق الارض هيدبه(١) ... يكاد يدفعه من قام بالراح
ينفي الحصى عن جديد الارض مبترِكا(٢) ... كأنه فاحص أو لاعب داح
فمن بنَجوته كمن بعَقوته(٣) ... والمستكن كمن يمشي بقرواح(٤)

وله فى السيف:

كأن مَدَبَّ النمل يتّبعُ الربا ... ومَدْرَج ذَرٍّ خاف برداً فأسهلا
على صفحتيه بعد حين جِلائه ... كفى بالذى أبلى(٥) وأنعتُ مُنْصُلا

---

(١) أسفَّ الطائر والسحابة وغيرهما دنا من الأرض . والهيدب ما تدلى من أسافله الى الارض (٢) قوله مبتركا يروى منبركا (٣) أصل النجوة ما ارتفع من الارض . والعقوة والعاقة أصله الساحة وحول الدار وقريباً منها والمحلة (٤) قوله والمستكن يروى والمستكين . والقرواح الارض البارزة للشمس (٥) أخبر

ويستجاد له قوله :

وإنى رأيت الناسَ الا اقلَّهم خفافَ العهود يُكثِرون التنقلا

بنى أم ذي المال الكثير يرونه وان كان عبدا سيد القوم جحفلا

وهم لمقل المال أولاد عَلة وان كان مَحضاً فى العمومة مُخوِلا

وليس أخوك الدائمُ العهد بالذى يسوءك إن ولى ويرضيك مقبلا

ولكن أخوك النأء ما كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

وللأفوه الاودى (وهو صلاة بن عمرو بن مَذْحِج) :

لا يصلح القوم فوضى لا سَراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

تُهدا الامور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولت فبالاشرار تنقاد

ومن جيد شعره قوله :

إنما نعمةُ قوم مُتْعَةٌ وحياة المرء ثوب مستعار

ختم الدهر علينا أنه ظَلَفٌ[1] مانال منا وجُبَار[2]

ولسلامة بن جندل فى الشباب والشيب :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب ولّى وذلك شأوٌ غير مطلوب

أودى الشباب الذى مجد عواقبه فيه نَلَذٌ ولا لذاتِ للشيب

ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

وهو القائل :

تقول ابنتى إن انطلاقك واحدا الى الروم يوماً تاركى لا أباليا

ذريني من الاشفاق أو قدّمى لنا من الحدَثان والمنية واقيا

ستتلف نفسي أو سأجمع هجْمةً ترى ساقييها يألمان التراقيا

ولعمرو بن قمِيْئة بن ثعلبة (من بنى سعد بن مالك رهط طرفة بن العبد) وهو

---

(١) ظلف . باطل (٢) جبار . هدر

قديم جاهلى كان مع حُجر أبى امرىء القيس فلما خرج امرؤ القيس الى بلاد الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه   وأيقن انا لاحقان بقيصرا

ومن جيد شعره :

أرى جارتى خفت وخف نصيحها   وحُبَّ بها لولا الهوى وطموحها
فبينى على نجم سُنيحٍ نحوسُه   وأشأم طير الزاجرين سنيحها
فان تشغبى فالشغب منك[1] سجية   اذا شيمتى[2] لم يؤت منها سجيحها
أقارض أقواماً فأوفى بقرضهم   وعفٌ اذا أبدى النفور شحيحها

وله وقد أنصف فيه وصدق :

فما أتلفت أيديهم من نفوسنا   وان كرمت فاننا لا ننوحها
فأبنا وآبوا كلنا بمضيضة   مهملة أجراحنا وجروحها

وهو القائل :

رمتنى بناتُ الدهر من حيث لا أرى   فكيف بمن يُرمى وليس برام
وأهلكنى تأميل مالست مدركا   وتأميل عام بعد ذاك وعام
اذا ما رآنى الناس قالوا ألم تكن   جليداً حديث السن غير كهام
فأفنى[3] وما أفنى من الدهر ليلة   فلم يُغن ما أفنيت سلك نظام
فلو أننى أُرمى بنبل رأيتها   ولكننى أُرمي بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا   أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى
كأنى وقد جاوزت تسعين حجة   خلعت بها عنى عذار لجامى

والمرقش الاكبر :

يأبى الشباب الأقورينُ ولا   تغبط أخاك أن يقال حكم

---

(١) يروى منى (٢) يروى همتى (٣) فعل مضارع

أخذه عمرو بن قميئة فقال :

لا تغبط المرء أن يُقال له　　أضحى فلانٌ لسنه حكما

إن سره طولُ عمره فلقد　　أضحى على الوجه طولُ ماسلما

ص ١٠٤ الشعر والشعراء

وللمرقّش الأصغر :

فمن يلق خيراً يَحْمَدِ الناس أمره　　ومن يَغوِ لا يعدمْ على الغيِّ لائما

أخذه القطاميُّ فقال:

والناس من يلق خيراً قائلون له　　ما يشتهى ولأم المخطىء الهبلُ

١٠٦ الشعر والشعراء

ولعلقمة بن عبدة وهو الملقب بالفحل (جاهلى) :

فإن تسألونى بالنساء فانى　　بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله　　فليس له في وُدّهنّ نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه　　وشرخ الشباب عندهن عجيب

هو جاهلى يصف الجاهليات اللاتى لم يهذب طباعهن دين ولا مدنية فهن مؤتمرات بأمر الطبيعة　　(١٠٨ الشعر والشعراء)

﴿ الخطب والوصايا ﴾

لا شك أن كل قوم يتفق لهم مثلُ ما كان عليه العرب أيام جاهليتها من الانفة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفها وعلو مجدها وسؤددها حتى حدث ما حدث بينها من الوقائع والأيام والخطوب والمهام هم أحوج الناس الى ما يستنهض هممهم ويقيم قاعدهم ويشجع جبانهم ويشد جنانهم ويثير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يستهان ولشوكتهم أن تستلان وتشفياً بأخذ الثار وتحرُّزاً من عار الغلبة وذل الدمار . وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوج اليها بعد الشعر لتخليد

مآثرهم وتأبيد مفاخرهم ولذلك كثر فيهم الخطباء حتى كان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر

والفرق بين الخطب والوصايا أن الخطب تكون فى المشاهد والمجامع والأيام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولدى الكبراء والامراء ومن الوفود فى أمر مهم وخطب ملم . والوصايا على خلافها فى كل ما ذكر فلا تكون الا لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص على شيء مخصوص . وكثيراً ما كانت تصدر من شخص لاسرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نقلة أو ما شابه ذلك .

﴿ اعتناء العرب بالخطابة ﴾

وكان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتها أكثر من اعتنائها بها فى اسلامها كانوا يتخيرون لها أجزل المعاني وينتخبون لها أحسن الألفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصدهم فان الألفاظ الرائقة والمعانى الجزلة أوقع فى النفوس وأشد تأثيرا فى القلوب وأيقظ للهمم ولذلك ورد « ان من البيان لسحرا »

ومن عاداتهم فيها أن الخطيب منهم كان إذا خطب فى تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيراً من مقاصده بحركات اليد إذ هذا أعون له على غرضه وأرهب للسامعين وأوجب لتيقظهم . ومنها أخذ المِخصَرة بأيديهم (وهى مايتوكأ عليها كالعصا ونحوها) ومنهم من كان يأخذ المخصرة فى السلم والقسِيّ فى الخطب عند الخطوب . ويستحسن فى الخطيب أن يكون جهيرَ الصوت ولذلك مدحوا سعة الفم وذموا ضيقه

ومن خطباء الجاهلية قُسُّ بن ساعدة الايادى وأكثم بن صيفى التميمى وذو الاصبع العدوانى وعمرو بن كلثوم التغلبى وقيس بن زهير ومَرْثد الخير وكان قيلا حَدِبا [1] على عشيرته محباً لصلاحهم وكان من أفصح الفصحاء وأخطب الخطباء ومن

---

(١) حدب عليه حدباً فهو حدِب اذا عطف وحنا عليه

خُطَبِهِ خطبته لاصلاح ذات البين [1] بين سُبيع بن الحرث ومِيثَم بن مثوّب وكانا تنازعا الشرف حتى تشاحنا وخيف أن يقع بين حييهما شر فيتفانى جِذْماهما فبعث اليهما مرثد فأحضرهما ليصلح بينهما وقال : إن التخبط وامتطاء الهجاج (الرأى الذى لم يتروَ فيه) واستحقاب اللجاج (استحقاب . اكتساب) سيقفكما على شفا هُوَّةٍ (حفرة) فى توردها بوار الأصيلة (أصيلة الرجل جميع ماله) وانقطاع الوسيلة فتلافيا امركما قبل انتكاث العهد وانحلال العقد وتشتت الألفة وتباين السُّهمة وأنتما فى فسْحةٍ رافهة (ناعمة) وقدم واطدة والمودة مثريه (كثيرة) والبقيامعرضة (ممكنة) فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح وخالف الرشيد وأصغى إلى التقاطع ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم وكيف كان صيُّورُ أمرهم (منتهى أمرهم) فتلافوا القرحة قبل تفاقُم الثأى (الفساد) واستفحال الداء وإعواز الدواء فانه اذا سُفكت الدماء استحكمت الشحناء واذا استحكمت الشحناء تقضبت عرى الإبقاء وشمل البلاء

فقال سبيع « أيها الملك إن عداوة بنى العَلات (جمع عَلة وهى الضرة وبنو العلات هم بنو رجل واحد من أمهات شتى) لايبرئها الأساة ولا تشفيها الرقاة ولا تستقل بها الكفاة والحسد الكامن هو الداء الباطن وقد علم بنو أبينا هؤلاء أنا لهم رِدءٌ اذا رَهِبوا وغيث اذا أجدبوا وعضد اذاحاربوا ومَفْزَعٌ اذا نُكِبوا (مفزع . ملجأ) وإنا وإياهم كما قال الأول « وهو أوس بن حَجَر » :

اذا ماعَلوْا قالوا أبونا وأمنا   وليس لهم عالين أم ولا أب

فقال ميثم : أيها الملك . إن من نفِس [2] على ابن أبيه الزعامة وجدبه [3] فى المقامة [4] واستكثر له قليل الكرامة كان قرفاً [5] بالملامة ومؤنباً [6] على ترك

---

(١) البين فى كلام العرب جاء على وجهين الفرقة والوصل (٢) رأى انه ليس اهلاله (٣) عاب (٤) الناس (٥) خليقا (٦) مذموما

الاستقامة وإنا والله مانعتد (١) لهم بيد إلا وقد نالهم منا كفاؤها (٢) ولا نذكر لهم حسنة إلا وقد تطلع منا اليهم جزاؤها ولا يتفيأ (٣) لهم علينا ظل نعمة إلا وقد قوبلوا بشَرْواها (٤) ونحن بنو فحل مُقْرَمٍ لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم ولم تنزعنا أعراق السوء ولا إياهم فعلام مط (٥) الخدود وخزْرُ العيون (٦) والجخيف (٧) والتصعر والبأو والتكبر ألكثرة عدد أم لفضل جلد أم لطول معتقد وإنا وإياهم لكما قال الأول «وهو ذو الاصبع العدوانى» :

لاهِ ابنُ عمك لاأفضلت فى حَسَبٍ   عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

ومقاطع الأمور ثلاثة حرب مُبيره أو سلم (٨) قريرة أو مداجاة (٩) وغفيرة . فقال الملك لا تُنشطوا عقُل الشوارد ولا تُلقِحوا العُون القواعد ولا تؤرِّثوا نيران الأحقاد ففيها المتلفة المستأصلة والجائحة والاليله (١٠) وعفُّوا بالحلم أبلاد (١١) الكلم وأنيبوا إلى السبيل الأرشد والمنهج الأقصد (١٢) فإن الحرب تُقبِل بزبرج (١٣) الغرور وتدبر بالويل والثبور ثم قال الملك :

ألاهل أتى الأقوام بَذلى نصيحةً   منحت بها منى سبيعاً ومينما

وقلت اعلما أن التدابر غادرت   عواقبه للذُّل والقِلّ (١٤) جرهما

فلا تقدحا زنْد (١٥) العقوق وأبقيا   على العزة القعساء (١٦) أن تتهدما

ولا تجنيا حرباً تجر عليكما   عواقبُها يوماً من الشر أشأما

---

(١) نعد (٢) جزاؤها (٣) ينقلب ويرجع (٤) مثلها ـ المقرم هو الذى لايحمل عليه . تنزعنا تبعدنا (٥) كناية عن الكبر (٦) كناية عن الازراء (٧) الجخيف والتصعر والبأو بمعنى التكبر (٨) الصلح يذكر ويؤنث (٩) ملاينة ـ (١٠) الثكل (١١) آثار الجرح ـ عفوا . امحوا (١٢) الاقرب (١٣) الزبرج الوشى وزينة السلاح (١٤) القل القلة (١٥) الزند خشبتان يستقدح بهما والسفلى زندة والعليا زند (١٦) القعساء الثابتة

فإن جُناة الحرب للحَين[١] عرضة   يفوِّقهم منا الزعافَ المقشما[٢]
حذار فلا تستنبثوها فانها   تغادرذا الأنف الأشم مكشما[٣]

فقالا : لا أيها الملك بل نقبل نصحك ونطيع أمرك ونطفىء النائرة[٤] ونحل الضغائن ونثوب إلى السلم

ولاكثم بن صيفي وقد ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا الناس إلى الاسلام فبعث أكثم ابنهُ حُبيشاً فأتاه بخبره فجمع بني تميم وقال يابني تميم لاتحضِرُوني سفيهاً فإنه من يسمع يخل (يظن) إن السفيه يوهن من فوقه ويثبّتُ من دونه (يسقم) لاخير فيمن لاعقل له كبِرَت سني ودخلتني ذلة « ضعف » فاذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه وإن رأيتم منى غير ذلك فقوموني أستقم . ان ابنى شافه « خاطب » هذا الرجل مشافهة وأتاني بخبره . وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الاوثان وترك الحلف بالنيران وقدعرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو اليه وأن الرأى ترك ماينهى عنه . إن أحق الناس بمعونة محمد صلى الله عليه وسلم ومساعدته على أمره أنتم فان يكن الذى يدعو اليه حقاً فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه وقد كان أسقُفُ نجران يحدث بصفته وكان سفيان بن مجاشم يحدث به قبله وسمى ابنه محمداً فكونوا في أمره أولا ولاتكونوا آخراً قبل أن تؤتوا كارهين أطيعونى واتبعوا أمرى أسأل لكم أشياء لاتنزع منكم أبداً وأصبحتم أعز حيّ فى العرب وأكثرهم عدداً وأوسعهم داراً فإنى أرى أمراً لايجتنبه عزيز إلا ذل ولايلزمه ذليل إلا عز. إن الاول لم يدع للآخر شيئاً وهذا أمر له مابعده من سبق اليه غَمَرَ المعالي واقتدى به

---

(١) الحين الهلاك (٢) يفوقهم يسقيهم الفواق وهو ثائب اللبن بعد حلاب . والزعاف الشديد الوحى . والمقشم المخلوط (٣) مكشم — مقطوع (٤) النائرة بالنون العداوة والشحناء ونار لحرب ونائرتها شرها وهيجها

التالي والعزيمة حزم والاختلاف عجز فقال مالك بن نُوَيره

قد خرف شيخكم ، فقال أكثم : ويل للشجىّ من الخلىّ « وهذا المثل يضرب فيمن يلوم ولاعلم له بحقيقة الشيء »

وله وصية كتب بها إلى طيّئ :

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم وإياكم ونكاح الحمقاء فان نكاحها غرر (١) وولدها ضَياع . وعليكم بالخيل فأكرموها فانها حصون العرب . ولا تضعوا رقاب الابل في غير حقها فان فيها ثمن الكريمة ورَقوء الدم (٢) وبألبانها يُتحف الكبير ويُغذى الصغير . ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والعُدْمُ عُدمُ العقل لاعدمُ المال ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته ومن رضى بالقسم (النصيب) طابت عيشته . وآفة الرأى الهوى . والعادة أملك والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى . والدنيا دول فما كان لك أتاك على ضعفك . وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء والشماتة تُعقِبُ ومن ير يوماً يره . قبل الرماء تملأ الـكنائن . الندامة مع السفاهة . دِعامة العقل الحلم . خير الامور مغبة الصبر . بقاء المودة عدل التعاهد . من يزر غِبًّا يزدد حباً . التغرير مفتاح البؤس . من التوانى والعجز نُتِجَت الهلـكة . لـكل شيء ضَراوة فضرِّ لسانك بالخير . عىّ الصمت أحسن من عي المنطق . الحزم حفظ ما كُلِّفت وترك ما كُفِيت . كثير التنصح يهجُمُ على كثير الظِنة . من ألحف في المسألة ثقُل . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . الرفق يمن والحرق شؤم . خير السخاء ما وافق الحاجة . خير العفو ما كان

---

(١) الغرر الهلـكة غرر بنفسه تغريراً وتغرة عرضها للهلـكة والاسم الغرر

(٢) الرقوء على وزن فعول بالفتح الدواء الذي يوضع على الدم ليرقمه فيسكن وفى الحديث : لا تسبوا الابل فان فيها رقوء الدم ومهر الـكريمة أى أنها تعطى فى الديات بدل النقود فتحقن بها الدماء

بعـد القدرة .

وروى عن الـكلبي أنه لما ظفِر سيف بن ذي يَزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أتته وفودُ العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئه وتمدحه وتذكر ماكان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخُوَيْلِدُ بن أسد في ناس من وجوه قريش فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر له يقال له غُمْدان فأخبره الآذن بمكانهم فأذن لهم فدخلوا عليه وهو على شرابه وعلى رأسه غلام واقف ينثر فى مفرقهِ المسك وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول وبين يديه أمية بن أبى الصلت الثقفى ينشده قوله (وفيه هذه الابيات) :

لا يطلب الثأرَ إلا كابن ذى يزن	فى البحر خيم للأعداء أحوالا
أَتَى هرَقل وقد شالت نعامته	فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعةٍ	من السنين يهين النفس والمالا
ثم أتى ببنى الأحرار يقدُمُهمْ	تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
لله درهم من فتيـة صبروا	ما إن رأيت لهم فى الناس أمثالا
بيضٌ مرازبة غُلْبٌ (١) أساورة	أسْدٌ تُرَبِّبُ فى الغيضات أشبالا
فالتَطْ من المسك إذ شالت نعامتهم	وأسبل اليوم في برديك أسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً	فى رأس غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارم لا قَعبانِ من لبن	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

بنو الاحرار الذين عناهم أمية فى شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن وهم الى الآن يسمّون بنى الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن الأبنـاء وبالكوفة الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشأم الجراجمة ـ فبدأ عبد المطلب

(١) جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها والانثى غلباء

فاستأذن فى الكلام فقال له سيف بن ذى يزن ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك أذنا لك . فقال عبد المطلب :

ان الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا . صعبا منيعا . شامخا باذخا . وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته في أكرم موطن وأطيب معدن . فأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذى به تخصب وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى اليه تلجأ العباد فسلفك لنا خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلم يخمل من أنت خلفه ولن يهلك من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فدحنا فنحن وفود التهنئة لا وفود المرزئه . قال : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال عبد المطلب بن هاشم . قال ابن اختنا . قال : نعم . فأدناه حتى أجلسه الى جنبه ثم أقبل على القوم وعليه فقال مرحبا وأهلا . وناقة ورحلا ومستناخا سهلا . وملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وأنتم أهل الشرف والنباهة ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود فأقاموا فيها شهراً لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم فى الانصراف وأجرى لهم الانزال . ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأدناه وأخلى مجلسه ثم قال : ياعبد المطلب انى مفوض اليك من سر علمى أمراً لو يكون غيرك لم أبح به اليه ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتك طلعه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره . انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما . وخطراً جسيما . فيه شرف الحياة . وفضيلة الوفاة . للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . قال عبد المطلب : مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فداك أهل الوبر . زمرا بعد زمر . قال ابن ذى يزن : غلام بتهامة . بين كتفيه شامه . كانت له الامامة ولكم به الزعامة . الى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أيها الملك أبت بخير ما آب

بمثله وافد : ولولا هيبة الملك واكرامه واعظامه لسألته أن يزيدنى فى البشارة ما أزداد به سرورا . قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذي يولد فيه أو ولد اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم) قد يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض يخمد النيران ويدحر الشيطان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن . قوله فصل وحكمه عدل . يأمر بالمعروف ويفعله . وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب :

أيها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك . فهل الملك مخبر بافصاح فقد أوضح لى بعض الايضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب . والعلامات على النصب . إنك ياعبد المطلب . لجده غير الكذب . فخر عبد المطلب ساجداً فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك . فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك . فقال عبد المطلب : أيها الملك . كان لى ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا وزوجته كريمة من كرائم قومى اسمها آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وامه وكفلته أنا وعمه . فقال . لأمر ما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لا آمن أن تدخلهم النفاسة . من أن تكون له الرياسة . فينصبون له الحبائل . ويطلبون له الغوائل . وهم فاعلون وأبناؤهم . وبطىء ما يجيبه قومه وسيلقى منهم عنتاً والله مباج حجته ومظهر دعوته وناصر شيعته ولولا أنى اعلم ان الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير يثرب دار ملكى فانى أجد فى الكتاب المكنون أن يثرب استحكام أمره . وأهل نصرته وموضع قبره . ولولا أنى أتوقى عليه الآفات. واحذر عليه العاهات . لأعلنت على حداثة سنه أمره ولكنى صارف ذلك اليك من غير تقصير منى بمن معك . ثم أمر لكل رجل بعشرة

أعبد وعشر اماء ومائة من الابل وحلتين برودا وخمسة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة عنبرا ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال ياعبدالمطلب اذا حال الحول فأتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول . وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يامعشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فإنه الى نفاد ولكن ليغبطنى بما يبقى لى شرفه وذكره الى يوم القيامة فاذا قيل له وما ذاك .قال : ستعلمون نبأه ولو بعد حين.

نجد فى هذه المحاورة سجعا كسجع الكهان وغير سجع وليس فيما هو سجع تكلف والى هذا وأمثاله يرجع تقسيم النثر الى مرسل ومقيد .

ومن الوصايا النافعة وصية ذى الإصبع العَدْوانىّ وهى :

يابنى إن أباك قد فَنِىَ وهو حى وعاش حتى سئم العيش . وانى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغتُ فاحفظ عنى : ألن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك . وأبسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشىء يسوّدوك . وأكرم صغارهم . واسمح بمالك . واحم حريمك [1] . واعزز جارك . واعن من استعان بك . وأكرم ضيفك . وأسرع النهضة فى الصريخ . فان لك أجلاً لا يعدوك . وصن وجهك عن مسألة أحدٍ شيئاً يتم سؤددك .

﴿ الامثال والحكم ﴾

الامثال جمع مَثَل وهو جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهرُ بالتداول أو تنقل عما وردت فيه الى كل ما يصح قصده بها من غير تقييد يلحقها فى لفظها وعما يوجبه الظاهر الى أشباهه من المعانى فلذلك تضرب وان جُهلت أسبابها التى خُرّجتْ عليها واستُجيزَ من الحذف ومن مضارع ضرورات الشعر فيها مالا يستجاز فى سائر الكلام

---

(١) حرم الرجل وحريمه ما يقاتل عنه ويحميه وجمع حرم أحرام وجمع حريم حُرُم وحُرَمُ الرجل عياله ونساؤه وما يحمى جمع حُرْمه

والعرب أكثر الامم أمثالا للحكمة المودعة في نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم الى إيجاز القول وجوامع الكلم . فمنها :

١ — إن البُغاثَ بارضنا يستنسر . البغاث ضعاف الطير . يضرب مثلا للرجل يكون ضعيفاً ثم يقوى

٢ — كأنما قدَّ سَيرُه الآن . يقال للشيخ اذا كان فى خلقة الاحداث

٣ — يجري بُليقٌ ويُذمُّ — بليق اسم فرس يقال للرجل يحسِنُ ويذمُّ ولا يشكر على إحسانه

٤ — لا يبضُّ حجرُهُ — يقال بض الماء اذا خرج قليلا قليلا — المعنى أنه لا يخرج منه خير — يضرب للبخيل

٥ — يداك أوكتا وفوك نفخ — يقال للرجل اذا فعل فعلة اخطأ فيها . زعموا ن أصل ذلك أن رجلاً قطع بحراً بزق فانفتح فقيل له ذلك

٦ — طلب الابلق العقوق — الابلق من صفات الذكور والعقوق الحامل والذكر لا يحمل فكأنه قال طلب الذكر الحامل وهـذا محال — يضرب لمن يطلب المحال

٧ — الخلَّةُ تدعو الى السَّلَّة — الخلة الحاجة والسلة السرقة . يضرب لمن خالف المشروع وهو مضطر

٨ — كل نجار[1] ابل نجارها : يضرب للمخلط يريد أن فيه ألواناً من الُخلق وليس يثبت على رأي

٩ — أُسق رِقَاشِ إنها سقَّايةٌ . يضرب للمحسن يقول : أحسنوا إليه لاحسانه

١٠ — خرقاء عيابة — يضرب للأحمق يعيب غيره

١١ — كل مُجرٍ بالخلاء يُسَرُّ . يضرب للرجل تكون فيه الخلَّةُ يحمدها من نفسه

---

(١) النجار — الاصل

ولا يشعر بما في الناس من الفضائل وأصله أن الرجل يُجْرى فرسه بالمكان الخالى لامسابق له فيه فهو مسرور بما يرى من فرسه ولا يرى ما عند غيره

١٢ — هما كركبتي البعير : يضرب للمستويين

١٣ — اذا اشتريت فاذكر السوق : المعنى اذا اشتريت فاطلب الصحة وتجنب العيوب فانك تحتاج الى أن تقيم (١) السلعة التى اشتريتها فى السوق يوماً لابد منه .

١٤ — رُبَّ شَدٍّ فى الكُرْز : الكرز هو الجُوالق وقيل هو الخرج : يضرب للرجل يحتقر ماعندك وله خبرٌ قد علمت به أنت وأصله أن رجلاخرج يَركُض فرساً فرمت بمهرها فألقاه فى كرز بين يديه فقال له رجل لم تحمله ؟ ماتصنع به ! فقال رب شد فى الكرز . يقول : هو شديد الشد كأمه .

١٥ — من أجدب انتجع : يقال عند كراهة المنزل والجوار وقلة المال

١٦ — أصلح غيثٌ ماأفسدَ بَرَدُهُ : يضرب لمن يكون فاسداً ثم يصلح

١٧ — من استرعى الذئب ظلم : يضرب لمن ولى غير الأمين

١٨ — خرقاء وجدت صُوفاً — يضرب للسفيه يقع فى يده مال فيعبث فيه

١٩ — ليس لمختال فى حسن الثناء سبيل : فى ذم الخُيلاء والكبر

﴿ الحكم ﴾

الحكم جمع حكمة وهي والموعظة الكلام المعقول الموافق للصواب المصون عن الحشو . والعرب أكثر الأمم إيراداً للحكم لوفورعقولها وصحة آرائها ونفوذ أفكارها ولطف أذواقها ومن حكماء العرب الذين اشتهروا فى الجاهلية اكثم بن صيفى وحاجب ابن زُرارة والأقرع بن حابس وعامر بن الظَرِب وذو الاصبع العدوانى وربيعة بن مخاشن

ومن حكم اكثم : الصدق منجاة والكذب مهواة والشر لجاجة . آفة الرأى الهوى . العجز مفتاح الفقر . خير الامور الصبر . إصلاح فساد الرعية خير من

(١) تعرضها للبيع

إصلاح فساد الراعى . شر البلاد بلاد لا أمير بها . خير الأولاد البررة . خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة

﴿ حالة اللغة العربية فى العصر الجاهلى ﴾

حالتها فى ذلك العصر سلامتها من كثرة الدخيل مع وفائها بأغراض أهلها ومن قصدوا إفادته بها واستغنائهم بها فى تأدية تلك الاغراض لثروتها إلا مادعت اليه داعية المجاورة والحاجة فى النادر فأدخلوا من لغات مجاوريهم مامست اليه حاجتهم . فمما أدخل من الفارسية . الكوز . الجرة . الابريق . الطشت . الطبق . القصعة . السكرجة . السمور . السنجاب . الفنك . الدلق . الخز . الديباج . الفيروزج . البلور . الكعك . السكباج . الاسفيداج . الفالوذج . اللوزنيج . الجوزنيج . السكنجبين . الخلنجين .

ومما أدخل من اليونانية واللاتينية الفردوس . القسطاس . البطاقة . القسطل . القنطار . البطريق . الترياق . القنطرة

ومما أدخل من الحبشية المشكاة والهرج .

وقد ولج الشعراء وكذا الخطباء في ذلك العصر أبوابا كثيرة من أبواب النظم والنثر فوصفوا ومدحوا وهجوا وفخروا ودونوا الاخبار وضربوا الامثال ورغبوا وأرهبوا ووعظوا وأوصوا ولم يتركوا شيئا وقع تحت حسهم إلا تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة فى اللفظ فى الكثير ومتانة التركيب وحسن الاسلوب وتوخ للحقيقة وبعد عن الغلو . وقد تقدم لك بعض نماذج منها . انظر دواوين أشعارهم ومجموعات خطبهم وعبارات محاوراتهم التى أملينا عليك نماذج منها تجدها على ما وصفنا لك وسبب ذلك سلامة طبع أهلها وغزارة مادتها وعنايتهم بها وحرصهم على صيانتها إذ هى مستودع حكمهم وحافظة عاداتهم وسجل فخارهم وأنسابهم . يرشدك الى ذلك رفعة قدر الشعراء والخطباء والرواة والنسابين فى تلك الازمان وإقامة أسواق عكاظ وذى المجاز ومجنة وعرض أشعارهم فيها على أهل الزعامة فى

ذلك وتحاكمهم فى قضاياهم وتحاكمهم وتعاتبهم الى غير ذلك من الامور التى تقتضى كثرة المقاولة واختيار ما خف على السمع وحلى فى الذوق كما تقدم لك واصطفاء المعلقات من بين كثير من القصائد فى المعانى المختلفة ـ أدلة [١] ساطعة على عناية القوم بلغتهم وعملهم لارتقائها وتهذيبها وتوحيدها وهذه الاسواق كانت معارض تجارية وأندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتها لفظا وأسلوباً وجعلِ لغة الشعر والخطابة لغة واحدة بين جميع القبائل

وشأن العرب فى ذلك شأن اليونان القدماء في الجنا سيوم وهى أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء. فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما يفعل العرب فى عكاظ. وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث فى بعض شئونهم العامة وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ومنها نادى قريش ودار الندوة. وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع ولكل قوم مجتمع عام. على أنهم كانوا حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا) . اه من تاريخ أدب اللغة العربية لجرجى زيدان

وآثروا لغة قريش التى هى أفصح اللغات على غيرها لأنهم كانوا أحكم العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ والاسهل على اللسان عند النطق والاحسن مسموعاً والأبين عما فى النفس وقد دعاهم الى ذلك الحرص على تداول أشعارهم بين كافة العرب لعلمهم أنه لو لزم كل منهم لغة قبيلته فى أشعاره لوقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل المختلفة فكانت بذلك لغة قريش اللغة الأدبية العامة فيما بينهم. ولبعدهم [٢] (قريش) عن بلاد العجم من جميع جهاتهم. ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم

---

(١) أدلة خبر والمبتدا اقامة أسواق عكاظ وما عطف عليها (٢) قوله ولبعدهم معطوف على لانهم كانوا الخ

وأما من بَعُدَ عنهم من ربيعة ولَخْم وجُذامَ وغسان وإياد وقُضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية. ويدلك على ما لقريش من المكانة العليا فى الفصاحة ماروى عن اسماعيل بن عبد الله قال :

أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبى الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل قريشاً قطّان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاج وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش فى أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها «أهل الله» لانهم الصريح من ولد «اسمعيل» عليه السلام لم تشبهم شائبة ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة. فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفاً إذ جعلهم رهط بيته الأدْنينَ وعترته الصالحين وكانت مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب

١ — ألا ترى أنك لاتجد فى كلامهم عَجْعَجة قضاعة وهى حى باليمن ينتمون إلى عمرو بن مالك بن حمير الملقب بقضاعة وعجعجتها إبدال الياء الواقعة بعد عين «جيا» فيقولون «الراعج خرج معج» أى «الراعى خرج معى»

٢ — وفَحْفحة هُذيل وهم حى من مضر أبوهم هذيل بن مدركة بن اليـاس. وفحفحتها إبدال الحاء عيناً فيقولون «اللعم الأعمر أعسنُ من اللعم الابيض» أى «اللحم الاحمر أحسن من اللحم الابيض» وعلى لغتهم قرأ بن مسعود «عَتَّى عين» فأرسل اليـه عمر رضى الله عنه إن القرآن لم ينزل على لغة هذيل فأقرىء الناس

بلغة قريش »

٣ — وعَنْعَنَة تميم وقيس وهى إبدال الهمزة المبدوء بها « عيناً » فيقولون عنّكَ فاضل « أى انك فاضل »

٤ — وطُمْطُانية حمير وهي ابدال لام التعريف « ميما » فيقولون «أم طاب مهواء وصفا امجو » اي طاب الهواء وصفا الجو ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الحميريين « ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر »

٥ — وكَشْكشة ربيعة وهي ابدال كاف المؤنثة « شينا » عند الوقف على الكلمة ومنهم من يبدل هذا الابدال فى الوصل فيقولون « منشَ وعليشَ » أي منك وعليك

٦ — وكَسْكسة ربيعة ومضر وهي ابدال كاف المذكر « سيناً » فيقولون « منسَ وعليسَ » أى منك وعليك

٧ ـ وشِنْشِنة اليمن وهي ابدال الكاف مطلقا « شيناً » وقد سمع أحدهم في عرفة يقول « لبيش اللهم لبيش » أي « لبيك اللهم لبيك »

وبعض سكان مديرية الشرقية بالديار المصرية يبدلون نحو هذا الابدال. فيبدلون الكاف فى كلب وكَشْك وكمون وكزبرة شيناً أو حرفاً يقرب من الشين

٨ ـ والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار وهو ابدال العين « نونا » يقولون « أنطاه درهما » وقد قرىء « إنا أنطيناك الكوثر »

﴿ اختلاف لغات العرب ﴾

جاء اختلاف لغات العرب على وجوه منها ما تقدم: ومنها الاختلاف فى الحركات « كنَستعين ونِستعين » بفتح النون وكسرها . قال الفرّاء هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد . وغيرهم يقولونها بكسر النون . ومنها الاختلاف فى الحركة والسكون مثل قوله « معَكم ومعْكم » . أنشد الفراء :

ومن يتقْ فان الله معهُ ورزق الله مؤتاب[1] وغادي

ومنها الاختلاف في إبدال الحروف نحو « أولئك » و « ألالك » أنشد الفراء :

ألالك قومي لم يكونوا أشابة[2] وهل يعظ الضِّلِّيلَ إلا اولالكا

ومن ذلك الاختلاف في الهمز والإلانة نحو « مستهزئون » و« مستهزون »

ومنها الاختلاف بالتقديم نحو « صاعقة » و« صاقعة » ومنها الاختلاف في الحذف والاثبات نحو « استحييتُ » و« استحيت » وصدرْت وأصدرْت ومنها الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل معتلا نحو « أما زيد » و« أيما زيد » ومنها الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل « قضى » و« رمى » فبعضهم يفخم وبعضهم يميل . ومنها الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم فيقولون « اشتروُا الضلالة » و « اشترِوا الضلالة » ومنها الاختلاف في التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول « هذه البقر » ومنهم من يقول « هذا البقر وهذه النخيل وهذا النخيل» ومنها الاختلاف في الادغام نحو «مُهْتَدُون ومُهَدُّون» . ومنها الاختلاف في الاعراب نحو « مازيد قائماً وما زيد قائم » و« ان هذين وإن هذان » وهي بالالف لغة لبني الحرث بن كعب يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك ، وينشدون :

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيمِ

ومنها الاختلاف في صورة الجمع نحو « أسْرَى » و« اُسارى » ومنها الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو يأمُرُكم ويأمُرْكم وعفِيَ له وعفْيَ له. ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل « هذه أمة » و« هذه أمت »

---

(١) مؤتاب مفتعل من آب يؤب بمعنى رجع واتاب مثل آب (٢) الاشابة من الناس الاخلاط والجمع أشائب ويقال أوباش من الناس وأوشاب وهم الضروب المتفرقون

ومنها الاختلاف في الزيادة نحو « أنظرُ » و« أنظورُ »

أنشد الفراء :

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق الى جيراننا[١] صُوُرُ

وأنني حيث ما يثني الهوى بصرى من حيث ماسلكوا أدنو فأنظور

وكلُّ هذه اللغات مسماة منسوبةٌ الى أصحابها وهي وان كانت لقوم دون قوم تعاورها كلٌّ لمّا انتشرت

ومن الاختلاف ـ اختلاف التضاد وذلك قول « حمير » للقائم « ثب » أي اقعد روى عن ظمياء[٢] بنت عبد العزيز بن مَوْءَلة[٣] قالت حدثني أبي عن جدي « مَوْءَلة » أن عامر بن الطفيل قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثّبه وسادة (يريد طرحها ليقعد عليها) .

والوثاب[٤] الفراش بلغة حمير قال : وهم يسمون الملك اذا كان لايغزو « موثبان » يريد أنه يطيل الجلوس ولا يغزو ويقولون للرجل ثب أي اجلس ـ روى أن زيد بن عبدالله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فألفاه في مُتصيَّد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له فقال له الملك « ثب » أي اجلس وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال : « لتجدني أيها الملك مطواعاً » ثم وثب من الجبل فهلك فقال الملك ماشأنه فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة فقال « أما إنه

---

(١) يروى أحبابنا صور جمع اصورِ وهو المائل العنق وفعله صوِرَ كفرح والرجل يَصورُ عنقه الى الشيء اذا مال نحوه بعنقه

(٢) أصل الظمياء سوداء الشفة يقال رجل أظمى اذا كان أسود الشفة وامرأة ظمياء اذا كانت سوداءها (٣) موءلة على وزن مفعلة بفتح الهمزة (٤) الوثاب بمعنى الفراش وثبته وثاباً أى فرشت له فراشاً ويقال وثبه تثويبا اى اقعده يريد على وسادة وربما قالوا وثبه وسادة اذا طرحها ليقعد عليها

ليست عندنا عربيتْ(١) من دخلْ («ظفار» حمّر) وظفار المدينة التى كان بها واليها يذهب الجزع الظفاري أراد : من دخل ظفار فليتعلم الحميرية

﴿ مدة العصر الجاهلى ﴾

مدة العصر الجاهلى نحو مائة وخمسين سنة . ومن أشهر ما قيل فيه المعلقات السبع . وسميت معلقات لأنها علقت في أستار الكعبة بعد انتقائها وكتابتها بالذهب وتسمى المذهبات أيضاً وهى لامرىء القيس « قفا نبك » ولزهير « أمن أمّ اوفى » ولطرفة « لخولة أطلال » ولعنترة « يادار عبلة » ولعمرو بن كلثوم « ألا هُبّ » وللبيد « عفت الديار » وللحرث بن حلزة « آذنتنا »

﴿ امرؤ القيس ﴾

أوليته . صفته . أوائله . ما سبق به وأُخذ منه . ما غُنّى به من شعره . أمير شعره . ما قاله فى علو الهمة . ما قاله في القناعة . بعض أمثاله السائرة . ما قاله في وصف الليل . ما قاله في وصف الفرس . تشبيهه شيئين بشيئين . خبره بعد قتل أبيه . النجاة بشعره

أوليته — هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحرث بن آكل المُرار (٢) ينتهى نسبه الى سام بن نوح عليه السلام . واسمه حُنْدُج . وأما امرؤ القيس فلقب غلب عليه . قيل لقب به لجماله . وذلك أن الناس قيسوا عليه في زمانه ففضلهم . ويقال له ذو القروح أيضاً لقوله :

فبدلت قرْحاً دامياً بعد صحة ... فيالكِ من نعمى تحولت أبؤسا (٣)

ويقال له : الملك الضليل . لأنه كان يتعهر في شعره .

---

(١) يريد عربية فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم ورواه بعضهم ليس عندنا عربية كعربيتكم (٢) المرار شجر مر اذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها

(٣) ويروى فيالك من نعمى تحول

صفته ومنزلته الأدبية ـ وهو من عشاق العرب وكان يشبب بنساء منهن فاطمة العذرية ومنهن أم الحرث الكلبية ومنهن عُنَيْزَةُ وهى صاحبة يوم دارة جُلْجُل . وهو أمير الشعراء بشهادة إمام الأنبياء وسيد الفصحاء صلوات الله عليه وسلامه . وذلك أنه ذكر عنده فقال (صلى الله عليه وسلم): ذاك رجل مذكور في الدنيا ، منسيٌّ فى الآخرة يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشعراء الى النار . وذكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : سابق الشعراء .خسف [١] لهم عين الشعر . واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء فسألهم عن أرق بيت قالته العرب فأجمعوا على بيت امرئ القيس :

وما ذرفت عيناكِ إلا لتضربى بسهميك في أعشار [٢] قلب مقتل

أوائله — هو أول من استوقف وبكى فى الدمن ووصف مافيها . وأول من شبه الخيل بالعصا واللِقوة والسباع والظباء . وأول من قيَّد الأوابد . وأول من شبه الثغر بشوك السَّيَال فقال :

مَنَابِتُهُ مثل السُّدوس ولونه كشوك السَّيال وهو عذبٌ يفيض [٣]

وأول من قال « فدى عداء » فاتبعه الشعراء فى جميع هذه الاوائل وهو أول من شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد إذ قال يصف العُقاب بكثرة الاصطياد :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وَكرِها العُنَّابُ والحشف البالى

ما أُخذ منه — وهذا بعض ما سبق اليه وأخذه منه الشعراء

---

(١) اى أنبطها وأغزرها لهم من قولهم خسف البئر اذا حفرها في حجارة فنبعت بماء كثير

(٢) جمع عشر والعشر قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع والجمع أعشار . وقدح أعشار مكسرة على عشر قطع . وقلب مقتل قتل عشقاً أومذلل بالحب (٣) يبرق

قال (امرؤ القيس) :

وقوفاً بهـا صحبى علىَّ مطيَّهم   يقولون لا تهلك أسًى وتجمل

فأخذه طرفة فقال :

وقوفاً بها صحبى علىَّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال (امرؤ القيس) يصف فرساً :

ويخطو على صُمٍّ صلاب كأنهـا   حجارة غَيْل وارسات[1] بطحلب

فأخذه النابغة الجعدى فقال :

كأن حواميـه مدبراً   خضبن وإن كان لم يخضب

حجارة غيل برضراضة   كسين طلاء من الطحلب

وقال (امرؤ القيس) يصف الناقة :

كأن الحصى من خلفها وأمامها   إذا نجلته رجلها خذف أعسرا

فأخذه الشماخ فقال :

لها منسم مثل المحارة خفّه   كأن الحصى من خلفه خذف أعسرا

ومما غُنِّى به من شعره قوله :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً   عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل

وقوله :

كأن المدامَ وصوبَ الغمام   وريحَ الخزامى ونشرَ القُطُر

يُعلّ به برد أنيابهـا   إذا طرب الطائر المستحر[2]

(المدام الخمر — وصوب الغمام الذي يُمزج به الخمر — الخزامى نبت طيب الريح واحـدته خزامات — النشر الريح الطيبة — أو الريح مطلقاً — القطر العود

---

(١) جمع وارسة . ورست الصخرة اذا ركبها الطحلب حتى تخضر وتملاس

(٢) الزَّجل

الذى يتبخر به . وقد قطر نوبه . وتقطرت المرأة — استحر الطائر غرد بسحر — شبه ماء فيها فى طيبه عند السحر بالمدام

وكل ماقيل فى هذا المعنى فمنه أخذ

ومن أمير شعره :

البر أنجح ماطلبت به والبر خير حقيبة الرحل

ويروى الرَّجل

ومما يتمثل به من شعره :

اذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانَهُ فليس على شىء سواه بخزّان

وقوله :

فانك لم يفخر عليك كعاجز ضعيف ولم يغلبك مثل مُغَلّب

وقوله :

وقاهم جدهم ببنى أبيهم وبالاشْقَيْنَ ما كان العقاب

وقوله في القناعة والرضى باليسير عند تعذر الكثير :

إذا مالم يكن إبل فمِعزَى كأن قرون جلتها العصىُّ

فتملأُ بيتنا أقِطا وسمناً وحسبك من غنى شِبَعٌ ورِىُّ

(الجلة — العظيمة — معزى جمع معزاة — الأقط هو مايعرف الآن فى القاهرة بلبن الزبادى)

وله فى علو الهمة والسمو الى معالى الامور :

ولو أن ماأسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجْد مؤثل وقد يدركُ المجد المؤثل أمثالى

وما المرء مادامت حُشاشة نفسه بمدركِ أطراف الخطوب ولاآلى

(المجد الشرف غير المورث . المؤثل . القديم . الحشاشة بقية النفس . آلى

اسم فاعل من ألا يألو قصر)

ومن معلقته فى وصف فرسه ولم يسبق اليه ولم يلحق فيه :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومنها فى وصف الليل بالطول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

ويستجاد من تشبيهه قوله :

كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب (١)

وكان أبوه حُجْر ملك بنى أسد وكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار اليهم فأخذ سراتهم فقتلهم بالعصا فسُمُّوا عبيد العصا أى يمطون على الضرب والهوان . وأسر منهم طائفة منهم عَبيْد بن الابرص فقام بين يدى الملك فأنشده أبياتاً يسترحمه بها :

إما تركت تركت عفـ ـواً أو قتلت فلا ملامه

أنت المليك عليهمُ وهم العبيد الى القيامه

فرحمهم الملك ثم بعث فى أثرهم وكان قد أمر بابعادهم فأقبلوا وقد حرّضهم كاهنهم فهجموا على قبته فخيَّم عليه حُجّابه ليمنعوه فأقبل عِلْباء بن الحرث الكاهلىُّ وكان حُجْرٌ قتل أباه فطعنه (حجراً) فأصاب نَسَاه (عرق فى الفخذ) فكتب حجر وصيته وأبان فيها مَنْ قتله وكيف كان خبره ودفعها إلى رجل من بنى عجل يقال له

---

(١) الجزع . خرز يمانى اسود مجزع بالبياض ـ وجعله غير مثقب لان ذلك اصفى له .

عامر الاعور وأمره أن ائت بنيّ واحداً واحداً فأيهم لم يجزع فادفعها اليه مع سلاحي وخيلي وقدوري

﴿ بعض أخباره ﴾

كان امروء القيس ذكياً متوقد الفهم فلما ترعرع أخذ يقول الشعر وقيل إن مهلهلا خاله لقنه هذا الفن فبرّز فيه وتقدم على شعراء وقته بالاجماع وكان يحب اللهو ويستتبع صعاليك العرب وذؤبانهم (لصوصهم) وينتقل في أحيائها فيغير بهم وكان يكثر من وصف الخيل ويبكي على الدِّمن ويذكر الرسوم والاطلال فبلغ ذلك والده فغضب عليه (لان الملوك كانت تأنف من ذلك) ودعا مولى له يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه فحمله ربيعة حتى أتى به جبلا فتركه وأخذ عيني جؤذر (ولد بقرة وحشية) وأتى بهما الى أبيه. فندم حجر على ذلك. فقال ربيعة أبيت اللعن إني لم أقتله قال: فأتني به. فرجع اليه فوجده يقول:

فلا تسلمني ياربيع لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقا

فرده على أبيه فنهاه عن قول الشعر فلم ينته فطرده. ثم لم يزل (امرؤ القيس) مع صعاليك العرب حتى قُتِلَ أبوه

ففعل الرجل «عامر» ما أمره به حجر. فكلهم جزع إلا امرؤ القيس فانه لما بلغه خبر قتل أبيه وهو بدمّون (من أرض اليمن) مع نديم له يشرب ويلاعبه بالنرد لم يلتفت لقوله وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لأفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال:

تطاول الليل علينا دَمُّونْ دمون إنا معشر يمانون
وإننا لأهلنا محبون

ثم قال: ضيّعني صغيراً وحمّلني دمه كبيرا. لاصحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم

خمر وغداً أمر . ثم آلى ألاّ يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر لابيه . فلما كان الليل لاح له برق فقال :

أرقتُ لبرق بليل أهلّ   يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته   بأمر تزعزعُ منه القلل

بقتل بني أسد ربهم   ألا كل شيء سواه جلل

ثم أخذ (امرؤ القيس) يُعِدُّ العُدَد ويجهز الاسلحة لمحاربة بني أسد . فبلغ بني أسد ما يعده لهم . فأوفدوا إليه رجالا من قبائهم كهولا وشبانا فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الابرص وقَبِيْصَةُ بن نُعيم وكان في بني أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الامور إيرادا وإصدارا ، يعرف ذلك فيه من كان محيطا بأكناف بلده من العرب ، فلما علم بمكانهم أمر بانزالهم وتقدّم في إكرامهم والافضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا عنه . فقيل لهم : هو في شغل باخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة . فقالوا : اللهم غفرانا انما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط . فليبلّغ ذلك عنا . فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترّات . فلما رأوه قاموا له وبدر له منهم قبيصة قائلا :

انك في المحل والقدر والمعرفة بتصرفات الدهر وما تحدثه أيامه وتنتقل به احواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك في سؤدد منصبك وكرم أعراقك وشرف أصلك في العرب محتملٌ يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذى كان من الخطب الجلل الذى عمت رزيته نزاراً واليمن ولم تخصص كندة بذلك للشرف البارع

كان لحجر التاجُ والعمةُ فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيبُ الشيم ولو كان يُفدى هالك بالانفس الباقية لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه

ولكن مضى به سبيل لا ترجع أولاه على اخراه ولا يلحق أقصاه أدناه ، فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال : إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتاً فقدناه اليك بنسعه يذهب مع شفرات حسامك فيقال رجل امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته « حقده » إلا بتمكينه من الانتقام . واما أن اخترت فداء مما يروح من بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الحسبة فكانت لك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها لم يردده [1] تسليط الإحن « الاحقاد» على البرآء . وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات .

فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال : لقد علمت أن لا كف ء لحجر فى دم وانى لن اعتاض به جملا أو ناقة فأكتسب بذلك سبة الابد . وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون امهاتها ولن أكون لعطبها سبباً . وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الاسنة علقا (ال فى القلوب عوض من المضاف اليه وفوق جمع فوق وفوق الأسنة أعلاها)

اذا جالت [2] الخيل فى مأزق   تدافع فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بل ننصرف بأسوإ الاختيار وأبلى الاجترار لمكروه وأذية وحرب وبلية . ثم نهضوا وقبيصة يقول :

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت   كتائبنا فى مأزق الموت تخطر

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة و كتائب حمير . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى اذ كنت نازلا بربعى ولكنك قلت فأجبت .

ثم جمع جيوشه لحرب بنى أسد فى ديار بنى كنانة لالتجائهم اليهم كما أخبرته عيونه . فوضع السيف فى بنى كنانة يحسبهم بنى أسد وهو يقول: يالثارات الملك .

---

(١) قوله لم يردده الضمير فيه يعود على الرجوع المأخوذ من رجعت على حد قوله تعالى « أعدلوا هو اقرب للتقوى »   (٢) ويروى « جالت »

فقالت له عجوز : أبيت اللعن لسنا بثأرك نحن من كنانة أما ثأرك فقد ساروا بالامس فقاتوه تلك الليلة . فقال :

ألا يالهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا[١]

وقاهم جدهم ببني أبيهم[٢] ... وبالاشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضاً ... ولو أدركنه صفر[٣] الوطاب

ثم لحقهم ظهراً فأكثر فيهم القتل والجرح وحجز بينهم الليل فهربوا فلما أصبح أبى من معه أن يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثأرك . وانصرفوا عنه . ففرّ لوجهه مستنصراً على بني أسد فأمده بعض الاقيال بجيش ففتك به في بني أسد ولم يزل ينتقل من قوم الى قوم بجبلي طيّء . ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم . ومر على السموءل بن عادياء اليهودى ملك تيماء (مدينة بين الشام والحجاز) فاستودعه مائة درع وسلاحا كثيراً ثم سار ومعه عمرو بن قميئة وكان من خدم أبيه فبكى ابن قميئة وقال له : غررت بناء . فأنشأ (امرؤ القيس) يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وبلغ الحرثَ بن أبي شمِر الغسانيّ (وهو الحرث الاكبر) ماخلف امرؤ القيس عند السموءل . فبعث اليه رجلا من أهل بيته . يقال له الحرث بن مالك وأمره أن يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه فلما انتهى إلى حصن السموءل أغلقه دونه وكان للسموءل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه الحرث . وقال للسموءل : إن أنت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلته . فأبى أن يدفع إليه ذلك وقال : أقتل أسيرك فإني لا أدفع اليك شيئاً . فقتله . وضربت العرب المثل بالسموءل في الوفاء وسار امرؤ القيس إلى ملك الروم فأكرمه ونادمه . واستمده فوعده ذلك . وفي هذه القصة يقول :

---

(١) لهف أسى وحزن . هند اخت امرىء القيس (٢) يعني ببني أبيهم بني كنانة لأن كنانة وأسد ابني خزيمة اخوان (٣) صفر الوطاب أي قتلته فيخلو جسمه من دمه أو استقت نعمه فيخلو وطابه من اللبن

ونادمتُ قَيصر في ملكه   فأوجهنى وركبتُ البريدا (١)
إذا ماازدحمنا على سكة   سبقتُ الفرانق (٢) سبقاً بعيداً

ثم بعث معه جيشاً فيه أبناء ملوك الروم . وكان قد أندس الى قيصر الطماحُ وكان امرؤ القيس قتل أخاً له من بنى أسد فلما فصل امرؤ القيس وشى به الطماح لقيصر وشاية أغضبته عليه . فبعث اليه رسولا ومعه حلةٌ مسمومة فأدركه دون أنقرة بيوم فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه . وكان يحمله جابر بن حُنَيّ التغلبي وذلك قوله

فإما تريني في رحالة جابر (٣)   على حرج (٤) كالقرَّ (٥) تخفق أكفاني
فيارب مكروب كررت وراءه   وعانٍ فككت الكبل عنه ففدَّاني

ولما صار إلى مدينة أنقرة ثَقُل فأقام بها حتى مات

وقال حين حضرته الوفاة بجبل يقال له عَسِيب وقد رأى قبراً فسأل عمن فيه فقيل انها بنت ملك :

أجارتنا إن الخطوب تنوب   وإنى مقيم ماأقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان هاهنا   وكل غريب للغريب نسيب

ويقال إن آخر ماتكلم به إذ ذاك :

رُبَّ طعنة مسحنفرة (٦)   وجفنة مُثْعنجرة (٧)   تبقى غداً بأنقره (٨)

ومما عيب عليه قوله :

---

(١) البريد دابة الرسول المستعجل (٢) الفرانق الذى يدل صاحب البريد على الطريق والذى ينذر قدام الأسد (٣) رحالة جابر خشبات صنعها جابر لامرىء القيس حين مرضه (٤) الحرج سرير يحمل عليه الموتى (٥) القرّ بفتح القاف مركب من مراكب النساء

(٦) المسحنفر . الواسع (٧) المثعنجر السائل المنسكب (٨)هى التى دفن بها امرؤ القيس .

إذا ما الثريا فى السماء تعرّضتْ تعرض أثناء الوشاح المفصل

قالوا : الثريا لا تعرض لها وإنما أراد الجوزاء فذكر الثريا على الغلط كما قال الآخر كأحمر عاد وإنما هو أحمر ثمود وهو عاقر الناقة . (هذا) وروى أنه أقبل قوم من اليمن يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعضُ القوم :

ولما رأت أن الشريعة همُّها وأن البياض من فرائصها دامى (١)

تيممت العينَ التى عند ضارج يفئ عليها الظلُّ عرمضها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا . قالوا : امرؤ القيس . قال : والله ما كذب هذا ضارج عندكم وأشار اليه

قال فحبونا على الركب فاذا هو ماء غدَقٌ وإذا عليه العرمض والظل يفيء اليه فشربنا ريًّا وحملنا ما يكفينا ويبلغنا الطريق . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ذاك رجل مذكور فى الدنيا (شريف فيها) يجيء يوم القيامة ومعه لواء الشعراء الى النار

﴿ طرفة بن العبد ﴾

أوّليته . منزلته الأدبية . ما سبق اليه وأخذ عنه . أوائله . ما غُنّىَ به من شعره مايتمثل به من شعره . بعض أخباره

هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك من بنى بكر بن وائل الشاعر

---

(١) قوله ولما رأت فاعل رأى ضمير مستتر فيه يعود على الحمر يريد أن الحمر لما رأت شريعة الماء فيه خافت على نفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم عدلت الى ضارج لعدم الرماة على العين التى فيه . الشريعة مورد الماء الذى تشرع فيه الدواب . همها طلبها . الفريصة لحمة فى وسط الجنب عند منبض القلب وهما فريصتان تدقان عند الفزع . ضارج اسم موضع من بلاد بنى عبس . العرمض الطلحب. طام مرتفع.

المشهور . وطرفة لقب عمرو . وكان فى حسب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مَرثد سيد أهل زمانه . فشكت (أخت طرفة) شيئاً من أمر زوجها اليه . فهجاه بقوله :

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا اذا قام أهضما

(أهضم لطيف وهو صفة كشحا والكشح ما بين الخاصرة الى الضِلَع الخلف)

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس وأفضلهم ضربَ مثل وطولَ قصائد . ولهذا ثُنّى بمعلقته . وقال الشعر صغيرا . وخاله جرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس . قُتل طرفة وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين . وقيل وهو ابن ست وعشرين سنة قبل ظهور الاسلام بنحو سبعين سنة وعليه قول أخته الخِرْنِق ترثيه :

عددنا له ستاً وعشرين حِجةً فلما توفاها استوى سيداً ضخما

فُجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال لا وليداً ولا قحما

« استوى تم شبابه . تقول العرب : استوى كذا مع كذا إلا قولهم للغلام إذا تم شبابه استوى. القحم الكبير السن جداً »

وقاتله عمرو بن هند أحد ملوك الحِيره وسنذكر السبب بعد

ويقال إن أول شعر قاله (طرفة) ما قاله حين خرج مع عمه في سفر وقد نصب فخا لقُبَّرَةٍ فلم تقع فيه . وهو :

يالكِ من قُبَّرَة بمَعْمَرِ خلا لك الجو فبيضى واصْفرى

ونقِّرى ما شئت أن تنقرى قد رُفِعَ الفخ فماذا تحذرى

لابد يوماً أن تصادى فاصبرى

ومما سُبق اليه فأخذ منه قوله يذكر سفينة :

يشق حُبابَ الماء حيزومُها بها كما قسم التربَ المفائل باليد

أخذه لبيد فقال :

تشق خمائل الدهنا يداه كما لَعِب المقامر بالفِئال

وأخذه الطرماح فقال :

وغداً يشق يداه أوساط الربا　　قسم الفيال بشق أوسطه اليدُ

ومنه « ماسبق اليه » :

ومكان زعل ظلمانه　　كالمخاض الجرب في اليوم الخدِر
قد تبطنت وتحتي سرحٌ　　تتقى الأرض بملثوم معِرْ

أخذه عدى بن زيد ولبيد . فقال عدى بن زيد :

ومكانٍ زعلٍ ظلمانه　　كرجال الحبش تمشى بالعمدْ
قد تبطنت وتحتي جسرةٌ　　عُبْرُ أسفار كمخراق وحدْ

وقال لبيد :

ومكانٍ زعلٍ ظلمانه　　كحزيق الحبشيين الزُّجَل
قد تبطنت وتحتي جسرة　　حرجٌ فى مرفقيها كالفتل

ومنه (ما سبق اليه) :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى　　وَجدك لم أحفِل متى قام عوّدى
فمنهنّ سبقى العاذلات بشربة　　كُميْتٍ متى ما تعْلَ بالماء تزبدِ
وكرى إذا نادى المضافُ مُحنَّبا　　كسِيدِ الغضا نبهْتَهُ المتورد
وتقصيرُ يوم الدَّجن والدجنُ مُعْجبٌ　　بِبهكنةٍ تحت الخباء المعمد

أخذه عبد الله بن نهيك بن أساف الأنصارى . فقال :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى　　وجدك لم أحفل متى قام رامسُ
فمنهن سبقى العاذلات بشربة　　كأن أخاها مطلعَ الشمس ناعِسُ
ومنهن تجريد الكواكب كالدمى　　إذا ابتُزّ عن أكفالهن الملابس
ومنهن تقريط الجواد عنانه　　إذا استبق الشخصَ الخفيَّ الفوارسُ

ومنه :

ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فأخذه غيره وقال :

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له   بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

« المشهور أن هذا البيت آخر معلقة طرفه »

ومما عيب من شعره قوله يمدح قوماً :

أُسد غِيل فاذا ماشربوا   وهبوا كل أمون وطِمِر

ثم راحوا عَبَقُ المسكِ بهم   يُلحِفون الارض هُدّاب الأزُر

ذكر أنهم يعطون إذا سكِروا . ولم يَشرِطْ لهم ذلك فى صحوهم

كما قال عنترة :

وإذا شربت فإننى مستهلك   مالى وعرضى وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أُقصّر عن ندًى   وكما علمت شمائلى وتكرمى

والجيد قول زهير :

أخو ثقة لاتتلف الخمرُ ماله   ولكن عطايا عوّدٌ وبوادى

وهو أول من طرد الخيال فقال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب   اليها فانى واصل حبل من وصل

وقال جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقتَ الزيارة فارجعى بسلام

ومن أمثاله السائرة فى ذم الأخلاء :

كل خليل كنت خاللته   لاترك الله له واضحه

كلهمُ اروغ من ثعلب   ماأشبه الليلة بالبارحه

ومن أمثاله فى بيت يستعطف به عمرو بن هند :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا — حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ومنها :

قد يبعث الامرُ الصغيرُ كبيرَهُ   حتى تظل له الدماء تَصبَّب

ومنها :

وأعلم علماً ليس بالظن أنه   إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء مالم تكن له   حصاة على عوراته لدليل

ومن حِكمياته فى معلقته :

أرى الموت يعتام الخيار ويصطفى   عقيلة مال الفاحش المتشدد (١)
أرى العمر كنزاً ناقصاً كل ليلة   وماتنقصِ الأيام والدهر ينفدِ
لعمرك إن الموت ماأخطأ الفتى   لكالطِوَلِ المُرخى وثِنياه باليد (٢)
إذا شاء يوماً قاده بزمامه   ومن يك فى حبل المنية ينقد
ألا أيها اللاحِى أن أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فإن كنت لا تسطيع دفع منيتى   فدرنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى قبر نحّام بخيلٍ بماله   كقبر غوىٍّ فى البَطالة مفسد

بطَل يبطُل بالضم بَطالة بفتح الباء تعطل

فمالى أُرانى وابن عمى مالكا   متى ادن منه ينأ عنى ويبعد
يلوم وما أُدرى علام يلومنى   كما لامنى فى الحى قُرط بن معبد (٣)
وآيسنى من كل خير رجوته   كأنا وضعناه الى رمس مُلحَد
على غير ذنب قلته غير أننى   نشدت فلم أُغفل (٤) حمولة معبد
وقرابةِ ذى القربى وجدك إننى   متى يك أمر للنكيثة أشهد (٥)

---

(١) المتشدد — البخيل (٢) ماثنى منه (٣) ويروى « أعبد » (٤) غفل عنه وأغفله تركه على ذكر (٥) وقرابة ذي القربى ومثله وجدك أى وأبيك يمين للعرب . النكيثة الانتقاض . يريد ان يكن أمر عظيم أشهده

وإن ادع للجلى[1] أكن من حماتها ... وإن تأتك الأعداء بالجهد أجهد

وإن يقذفوا بالقذع عرضك[2] اسقهم ... بشرب حياض الموت قبل التورد

ومن معلقته أيضاً فى التنديد بأبناء عمه :

وظلم ذوى القربى أشد غضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند[3]

فلو كان مولاى امرأ هو غيره ... لفرج كربى أو لأنظرنى غدى

ولكن مولاى امرؤ هو خانقى ... على الشكر والتّسآل أو أنا مفتدى

فذرنى وخُلقى إننى لك شاكر ... ولو كان بيتى نائيا عند ضرغد

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربى كنت عمرو بن مَرْثد

فأصبحت ذا مال كثير وزارنى ... بنون كرام سادة لمسود

قيس بن خالد هو الذى مدحه الاعشى بقصيدته التى مطلعها :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ... وانت امرؤ يرجو شبابك وائل

ومنها :

لقد كان فى شيبان لو كنت عالما ... قباب وحىٌّ حِلةٌ وقبائل

وعمرو بن مرثد هو ابن عمه وهو كثير الولد. ولما أنشدت هذه الابيات لابن عمه عمرو بن مرثد وجه اليه بقوله : أما الولد فالله يعطيك وأما المال فسنجعلك اسوتنا ودعا ولده وكانوا سبعة فأمرهم فدفع كل واحد منهم الى طرفة عشرة من الابل ثم أمر ثلاثة من بنى بنيه فدفعوا له مثل ذلك

ومنها :

اذا أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعَدِ

لعمرك ما الايام الا مُعارةٌ ... فما اسطعت من معروفها فتزود

---

(١) الجلى الامر العظيم (٢) العرض موضع المدح أو الذم من الانسان أو هو الشرف . (٣) السيف المطبوع من حديد الهند المشحوذ

ولا خير فى خير ترى الشر دونه ولا نائل يأتيك بعد التلدد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وسبب نظمه معلقته أنه ضلت إبل لأخيه معبد فسأل طرفة ابن عمه مالكا أن يساعده على طلبها فأبى ورماه بالتفريط

وسبب قتل عمرو بن هند طرفة بن العبد ما رواه ابن السكيت فى شرح ديوان طرفة وهو أن طرفة لما هجا عمراً بالقصيدة التى سيأتى ثمانية أبيات منها ولم يكن سمعها (عمرو بن هند) حتى خرج يوماً إلى الصيد فأمعن فى الطلب حتى انقطع فى نفر من أصحابه وبعد أن أصاب طريدته قال لأصحابه اجمعوا حطباً وكان فيهم ابن عم طرفة (عبد عمرو) فقال لهم أوقدوا. فأوقدوا نارا وشَوَّى[1] وبينما عمرو يأكل من شوائه وعبد عمرو يقدم اليه اذ نظر الى خصر قميصه منخرقاً فأبصر كشحه وكان من أحسن أهل زمانه جسماً وقد كان هجاه طرفة بأبيات كما تقدم فقال له عمرو بن هند وكان قد سمع تلك الأبيات: ياعبد عمرو لقد ابصر طرفة حسن كشحك فقال:

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أهضما

فغضب عبد عمرو مما قال وأنِفَ فقال: لقد قال للملك اقبح من هذا. قال عمرو: وما الذى قال. فندم عبد عمرو وأبى أن يسمعه. فقال: اسمعنيه وطرفة آمن. فاسمعه القصيدة التى هجاه بها ومنها الابيات الثمانية الآتية فمكث عمرو بن هند على ما وقرَ فى نفسه وكره ان يعجل عليه لمكان قومه فأضرب عنه. وبلغ ذلك طرفة وطلب عمرو غِرَّتَهُ والاستمكان منه حتى أمن طرفة ولم يخفه فظن أنه رضى عنه. ثم قدم المتلمس وطرفة على عمرو بن هند يتعرضان لفضله. فكتب لهما الى عامله على البحرين (هو ربيعة بن الحرث العبدى) وقال لهما: انطلقا اليه فاقبضا جوائزكما منه. فلما هبطا النَّجفة (موضع بين البصرة والبحرين) قال المتلمس: ياطرفة إنك غلام غرٌ

---

(١) شوّى القومَ وأشواهم أعطاهم لحماً طرياً يشتوون منه

حديث السن والملك من قد عرفت حقده وغدره وكلانا قد هجاه فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشر فهلم ننظر فى كتابينا فإن يكن أمر لنا بخير مضينا فيه. وإن يكن أمر فينا بشر لم نهلك أنفسنا. فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك. وحرص المتلمس على طرفة فأبى. وعدل المتلمس الى غلام بالحيرة فأعطاه الصحيفة فقرأها فلم يصل الى ما أمر به فى المتلمس حتى جاء غلام آخر بعده فاشرف فى الصحيفة لا يدرى من هو فقرأها فقال ثكلت المتلمس أمه

فانتزع المتلمس الصحيفة من يد الغلام واكتفى بذلك من قوله واتبع طرفة فلم يدركه وألقى هو الصحيفة فى نهر الحيرة ثم خرج هاربا وسار طرفة حتى قدم على عامل البحرين وهو (بهجَر) فدفع اليه كتاب عمرو بن هند فقال له عند ما قرأه: هل تعلم ما أُمرت به فيك. قال: نعم أمرت أن تجيزنى وتحسن الى. فقال لطرفة إن بينى وبينك لخؤولة أنالها راع فاهْرُبْ من ليلتك هذه فأنى أُمرت بقتلك فأخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس. فقال له طرفة: اشتدت عليك جائزتى واحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند على سبيلا كأنى أذنبت ذنباً. والله لا أفعل ذلك أبداً. فلما أصبح أمر بحبسه. وجاءت بكر بن وائل فقالت: قدم طرفة. فدعا به صاحب البحرين فقرأ عليهم كتاب الملك ثم أمر بطرفة فحبس ولم يقتله وكتب الى عمرو بن هند أن ابعث الى عملك فانى غير قاتل الرجل. فبعث اليه رجلا من بنى تغلب يقال له عبد بن هند بعد أن استعمله على البحرين وكان رجلا شجاعا وأمره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث العبدي فقدمها عبد بن هند فقرأ عهده على أهل البحرين ولبث أياما واجتمعت بكر بن وائل فهمت به وكان طرفة يحضهم وانتدب له رجلا من عبد القيس يقال له أبو ريشة فقتله وقبرُه اليوم معروفٌ بهجر. ورثته أُخته بالبيتين السابقين:

وهذه الابيات الثمانية من القصيدة التى هجا بها طرفة عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور[1]

---

(١) الملك بفتح الميم وسكون اللام وأصلها الكسر وصف من ملك على الناس

من الزَّمِرَات أسبل قادماها | وضرتها مركنة درور (١)
يشاركنا لنا رَخِلان فيها | وتعلوها الكباش وما تنور (٢)
لعمرك ان قابوس بن هند | ليخلط ملكه نوكٌ كثير (٣)
قسمتَ الدهر فى زمن رخىٍّ | كذاك الحكم يقصد أو يجور (٤)
لنا يوم وللكِرْوان يوم | تطير البائسات ولا نطير (٥)

أمرهم اذا تولى السلطنة و «لنا» خبر ليت مقدم و «رغوثا» اسمها مؤخر و «مكان» ظرف وهو متعلق بمحذوف حال من رغوث و «الرغوث» بفتح الراء وضم الغين المعجمة وآخره ثاء مثلثة النعجة المرضع. و «تخور» تصوت وأصل الخوار للبقر فجعله طرفة للنعجة

(١) «الزمرات» بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم القليلات الصوف وخصها لانها أغزر البانا ويقال منه «رجل زمر المروءة» اذا كان قليلها . و «القادمان» الخلفان المتقدمان وأصل القادمين للناقة لان للناقة قادمين وآخرين الواحد قادم وآخر وكذلك البقرة فاستعار القادمين للشاة . و «اسبل» طال، و «الضرة» بفتح الضاد المعجمة لحم الضرع، و «المركنة» التى لها أركان أى جوانب . وأصل «الدرور» بفتح الدال الكثيرة الدر

(٢) «رخلان» مثنى رخل بفتح الراء وكسر الخاء الانثى من أولاد الضأن «تنور» بالنون تنفر

(٣) «نوك» حمق وكان قابوس يحمق ويزنّ .

(٤) قوله قسمت الدهر هو بالخطاب على طريق الالتفات يخاطب عمراً أو قابوس ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه وقد بينه فى الابيات التى بعده و «رخى» لين وسهل . و «يقصد» مضارع قصد فى الامر من باب ضرب اذا توسط وطلب الاسدّ ولم يجاوز الحد

(٥) «الكروان» بكسر الكاف وسكون الراء جمع كروان ونظيره وَرْشان

فأما يومهن فيوم سوء تطاردهن بالحدب الصقور [1]
وأما يومنا فنظل ركبا وقوفاً مانحل وما نسير [2]

والسبب فى هذه القصيدة أن عمرو بن هند كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر للملك بعده فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما فى صحابة قابوس وأمرهما بلزومه وكان قابوس شابا يعجب باللهو وكان يركب يوماً فى الصيد فيركض يتصيد وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد تعبا فيقفان بباب سرادقه الى العشى . وكان قابوس يوماً على الشراب فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة فقال هذه القصيدة . وعمرو ابن هند المذكور من ملوك الحيرة وكان عاتياً جباراً ويسمى محرِّقا لانه حرق بنى تميم وهو أخو النعمان بن المنذر صاحب النابغة

﴿ زهير بن أبى سُلمى ﴾

هو زهير بن أبى سلمى (واسم أبى سلمى ربيعة) بن رياح (بكسر الراء وبعدها مثناه تحتية) المزنى (من مُزَيْنَة » بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار . وكانت مَحَلّة قومه فى غَطَفَان فظن بعضهم أنه منها . وأمه ليلى . ولقبها خِنْدف . وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق . وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة . وقد قيل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب (خمس)

وِرشان وقد يكون جمع كرا مثـل فتى وفتيان و « البائسات » منصوب على الترحم وفاعل تطير ضمير الكروان . ويروى بالرفع أيضاً وهو جمع بائسة من البؤس بضم الباء وسكون الهمزة وهو الضر

(١) « السوء » بفتح السين النحس « والحدب » بفتحتين ما ارتفع من الارض يقول يوم الكروان يوم نحس لمطاردة الصقور لهن

(٢) قوله « ما نحل وما نسير » أى نحن قيـام على بابه ننتظر الاذن فلا هو يأذن فنحل عنده ولا هو يأمرنا بالرجوع فنسير عنه

وزهير إذا رَغِب . والنابغة اذا رَهِب . وقال ثعلب وهو ممن قَدَّم زهيراً : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة فى المدح ، وأكثرهم أمثالا فى شعره . ورُوى أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال لابن عباس رضى الله عنهما : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قال : ومن هو ؟ . قال : الذى يقول :

ولو أن حمدا يُخلدُ الناس أُخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قال (ابن عباس) : ذاك زهير . قال (عمر) فذاك شاعر الشعراء . قال (ابن عباس) : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل فى الكلام وكان يتجنب وحشى الكلام ولم يمدح أحدا إلا بما فيه . وروى عنه (عمر) أنه قال : أشعر الناس من يقول : ومن ومن ومن . يريد زهيراً وقوله فى معلقته التى مطلعها :

أمن أم أوفَى دمنة [1] لم تَكلم بحومانةِ [2] الدراج [3] فالمتثلم [4]

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمَنسِم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلَم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن يعص أطراف الزِّجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهذم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يجعل المعروف فى غير أهله يعد حمده ذما عليه ويندم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لم يكرم نفسه لا يكرم

---

(١) دمنة الدار أثرها . والدمنة أيضا آثار الناس وما سودوا . وأم أوفى زوجه

(٢) مكان غليظ منقاد (مذلل لا يستعصى على مجتازه)

(٣) مكان (٤) مكان

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يغنها يوماً من الدهر يُسأم

ومنها :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومنها :

وكائن ترى من صامت لك مُعجِب زيادته أو نقصه فى التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ويقال : إن أبياته هذه من أحكم حكم العرب . وقصيدة زهير هذه « أمن أم أوفى دِمنة لم تكلم » قالها (زهير) فى قتل وَرْد بن حابس العبسى هرمَ بن ضمضم المرى . الذى يقول عنترة فيه وفي أخيه :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم

ويمدح بها هرم بن سنان والحرث بن سعد بن ذبيان المريين لأنهما احتملا ديته فى مالها وذلك قول زهير :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما تبزل مابين العشيرة بالدم

يعنى بنى غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وتبزل تشقق

وروى أن معاوية رضى الله عنه سأل الاحنف بن قيس عن أشعر الشعراء . فقال : زهير . قال : وكيف . قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام . قال : مثل ماذا . قال : مثل قوله :

فما يكُ من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل

وروى عن المدائنى أن عبد الملك بن مروان قال : مايضر من مُدِحَ بما مَدح به زهير آلَ أبى حارثة ألا يملك أمور الناس (يعنى الخلافة) من قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ثم قال : ماترك منهم زهير غنيا ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه وقال ابن الاعرابى : لزهير في الشعر مالم يكن لغيره . كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً . وأختاه سلمى

والخنساء [1] شاعرتين . وابناه كعب وبُجَير شاعرين وابن ابنه المضرَّب شاعراً . وله ديوان شعر كبير . وغالب شعره مدح فى هَرِم بن سنان أحد الاجواد المشهورين . ومن أخباره مع هرم أن هرماً كان حلف ألا يمدحه زهير ولا يسأله الا أعطاه ولا يسلّم عليه الا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستحيا زهير منه فكان إذا رآه فى ملأ قال عموا صباحاً غير هرم ، وخيرَكم استثنيت . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض ولد هرم : أنشدنى بعض مدح زهير أباك . فأنشده فقال عمر : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء . فقال قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم

ومما سبق اليه زهير فأُخذ منه بمدح قوله هرماً :

هو الجواد الذى يعطيك نائله عفواً ويُظلَم أحياناً فيظَّلم

أى يُسأل ما لا يقدر عليه فيتحمله

أخذه كُثَيِّر فقال :

رأيت ابن ليلى تعترى صلبَ ماله مسائل شتى من غنىّ ومعدم

مسائل ان توجد لديك تجُد بها يداك وان تظلم بها تتظلم

ابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز

ومما سبق اليه فلم ينازع فيه :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جِلاء

---

(١) وهى القائلة ترثيه :

وما يغنى توقى المرء شيئاً ولا عقد التميم ولا الغضار

اذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار

الغضار خزف اخضر يعلق على الانسان يقى العين (عقيدة جاهلية) وقدار كهمام هو ابن سالف الذى يقال له احمر ثمود عاقر ناقة صالح عليه السلام

يريد أن الحقوق انما تصح وتثبت بواحدة من هذه الثلاث بيمين أو محاكمة أو حجة واضحة. وكان عمر رضى الله عنه إذا أنشد هذا تعجب من معرفة زهير بمقاطع الحقوق. وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر فى رسالة عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى (فى القضاء) مازاد على ماقال. وسمى زهير قاضى الشعراء بهذا البيت

ومنه:

يطعنهم ماارتموا حتى إذا اطّعنوا	ضارب حتى اذا ماضربوا اعتنقا

فجمع فى بيت واحد صنوف القتال

ومن أمثاله السائرة قوله:

وهل يُنبت الخطىّ الا وشيجُهُ	وتُغرس الا فى منابتها النخل

ويروى وشيجة. الخطى منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن فى البحرين وتنسب اليه الرماح. والوشيجة شجرة الرماح.

ومنها (أمثاله):

والسِتر دون الفاحشات ولا	يلقاك دون الخير من ستر

المراد بالسِتر الحياء

ومما يستجاد له:

وذى نعمة تممتها وشكرتها	وخصم يكاد الحق يغلب باطله
دفعتَ بمعروف من الحق صائب	إذا ماأضل الناطقين مفاصله
وذى خطل فى القول يحسب أنه	مصيب فما يُلْمِمْ به فهو قائله
عبأتَ له حلماً وأكرمت غيره	وأعرضتَ عنه وهو باد مقاتله
وذى نسب ناء بعيد وصلته	بمال وما يدرى بأنك واصله
وأبيضَ فياض يداه غمامة	على معتفيه ماتغب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته	قعوداً عليه بالصريم عواذله

يفدّينه طوراً وطوراً يَلُمْنَه ... وأعيا فما يدرين أين مخاتله
وأعرضن منه من كريم مرزأ ... جموع على الامر الذي هو فاعله
أخي ثقة ماتُذهب الخمرُ ماله ... ولكنه قد يذهب المال نائله
تراه إذا ماجئته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومنه (مايستجاد له) :

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم ... فلم يبلغوا ولم يُليموا ولم يألوا

ومنه (مايستجاد له) ولم يسبقه اليه أحد :

قد جعل المبتغون الخير من هرم ... والسائلون الى أبوابه طرقا
من يلق يوماً على علاته هرِماً ... يلق السماحة منه والندى خلقا
يطلب شأوَ امرأين قدّما حسبا ... بذا الملوك وبذا هذه السُّوقا
هو الجواد فان يَلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَل ... فمثل ما قدّما من صالح سبقا

ومما غُنّي به من شعره :

قف بالديار التى لم يعفها القدم ... بلى وغيّرها الارواح والديم (١)
كأن عيني وقد سال السليل بهم ... وجيرةٌ ماهم لو انهم أمم (٢)

---

(١) الديم جمع ديمة والديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العدة

(٢) السليل مجرى الماء فى الوادى وقيل وسط الوادى حيث يسيل معظم الماء . ومعنى سار السليل بهم ساروا سيراً سريعا . قوله وجيرة ماهم أى هم خير جيران لو أنهم بالقرب منى . أمم قصد مقارب بين القرب والبعد . وما الداخلة على هم زائدة .

غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق في السلك خان به رُبانَهُ النظم (١)

ومما يستحسن له أنه شبه امرأة بثلاثة أشياء في بيت واحد فقال :

تنازعها المها شَبَهاً ودر الـ بحور وشاكهت فيها الظباء

ثم فسر فقال :

فأما ما فُوَيقَ العقد منها فمن أدماء مرتعها خلاء

وأما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحة والصفاء

وأخذ العلماء عليه قوله يذكر الضفادع :

يخرُجنَ من شَرَبات ماؤها طَحِلٌ (٢) على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا : ليس خروج الضفادع مخافة الغم والغرق وانما ذلك لانهن يبضن في الشطوط

وأخذوا عليه أيضاً قوله :

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم (٣) ماء بشرقي سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ

قال الاصمعي : سألت بجنبات فيد عن الركك . فقالوا لي : ما هناك ركك ولكنه رك . فعلمت أن زهيرا احتاج فاظهر التضعيف (أي فك الادغام) ، هذا وكان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة فكانت قصائده تسمى بالحوليات لذلك.

---

(١) الغرب الراوية والدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور والمراد الاول. القلق الذي لم يستقر لما انقطع الخيط . والنظم واحدها نظام . شبه دموعه باللؤلؤ انقطع سلكه أو بماء سال من الغرب . الرُّبان والرِّبان من معانيه أول الشيء ومن معانيه جميعه ومنه أخذ الشيء بربانه

(٢) الشربات جمع شربة وهي كالحويض حول النخلة والشجرة وتملأ ماء فيكون ريها فتتروى منه. طحل كثير الطحلب أو كدر

(٣) ماء أو موضع بالبادية . وركك ماء

وقد أشار البهاء زهير الى هذا فقال:

هذا زهيرك لازهير مزينة   وافاك لاهرماً على علاته
دعه وحولياته ثم استمع   لزهير عصرك حسن لياياته

وكان (زهير) يتأله (يتعبد) ويتعفف فى شعره ويدل شعره على إيمانه بالبعث. وذلك قوله:

فلا تكتمن الله مافى نفوسكم   ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيودع فى كتاب فيدخر   ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وتوفى (زهير) قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم. وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره فلما بعث صلى الله عليه وسلم أتاه "بجير" فأسلم. فكتب إليه كعب:

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة   فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
سقيت بكأس عند آل محمد   فأنهلك المأمون منها وعلكا
فخالفت أسباب الهوى وتبعته   على أى شئ ويب غيرك ذلكا

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه. فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله قتل رجلا ممن كان يهجوه. فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بأبى بكر. فلما سلم النبى صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته. فقال يارسول الله: هذا رجل جاء يبايعك على الاسلام فبسط النبى صلى الله عليه وسلم يده. فحسر كعب عن وجهه وقال هذا مقام العائذ بك يارسول الله. أنا كعب بن زهير فأمنه واستنشده قصيدته المشهورة المسماة البردة لانه صلى الله عليه وسلم اجازه عليها بردته الشريفة ومطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول

وبعده:

وماسعاد غداة البين اذرحلت   الا أغن غضيض الطرف مكحول

لبيد

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى ويكنى أبا عقيل .
وهو من شعراء الجاهلية وفرسانهم شريف فى الاسلام كما كان شريفا فى الجاهلية .
وعُدَّ عدا ذلك فى عدة من طبقات الناس : فى الاجواد والمعمّرين والزهاد والنساك.
وهو صحابى رضى الله عنه . قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد من قومه
بنى جعفر بن كلاب فأسلم وحسن إسلامه ورجع مع قومه الى ديارهم . ثم قدم الكوفة
فأقام بها إلى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه وله مائة وسبع وخمسون سنة .
كان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام . ومما يستجاد له قوله (من قصيدة رثى
بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة) :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول   أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (١)

---

(١) ألا تسألان البيت . ألا كلمة تنبيه نبه بها السامع الى شئ يأتى ، ولا يؤتى بها الا اذا كان مابعدها موضع عناية . وتسألان خطاب للاثنين والمراد به الواحد . والعرب تخاطب الواحد بصيغة الاثنين كما فى قوله تعالى « القيا فى جهنم » . وكانهم يريدون بها التكرار للتأكيد . وهو فى اصطلاحهم بمنزلة ألا تسأل تسأل . و« ما» اسم استفهام مبتدأ والخبر « ذا » وهو اسم موصول وجملة يحاول صلة ويحاول مضارع حاولت الشئ أى اردته . والنحب هنا النذر تقول منه نحبت أنحُب من باب نصر . والمعنى اسأل المرء ما الذى يطلب باجتهاده فى الدنيا . أنذر أوجب على نفسه ألا ينفك عن طلبه ويسعى فى الحصول عليه أم هو ضلال وباطل

وقوله « أنحب » بالرفع بدل من « ما » على انها مبتدا . والهمزة للاستفهام وقوله فيقضى منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية . وضلال معطوف على نحب وباطل معطوف على ضلال

حبائله مبثوثة في سبيله ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل (١)
إذا المرء أسرى ليلة خال أنه قضى عملا والمرء ماعاش عامل (٢)
فقولا له إن كان يُقسم أمره ألمّا يعظك الدهر أمك هابل (٣)
فتعلمَ أن لا أنت مدرك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل (٤)
فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تَهديك القرون الأوائل
فان لم تجد من دون عدنان باقيا ودون معد فلتزعك العواذل (٥)

---

(١) قوله حبائله البيت . الحبائل جمع حبالة ككتابة . وهي الشرك والضمير للموت . والمراد بحبائله الاحداث التي هي سبب الموت . ومبثوثة منصوبة على طرقه والهاء في سبيله عائدة على المرء . ويفنى يهرم

(٢) قوله اذا المرء أسرى . سرى وأسرى بمعنى . وأصل معنى سرى سار ليلا والمراد هنا سهر يريد اذا سهر المرء ليلة في عمل ظن أنه قد فرغ منه فلا عمل له بعد وهو ما عاش يعرض له مثل ذلك . لانه مادام حيا لاينقطع عمله ولا حاجه

(٣) قوله فقولا له البيت . فيه يُقسم مضارع أقسم بمعنى قدّر ودبر . والمعنى: قولا له ان كان يدبر أمره وينظر فيه ألم يعظك من مضى قبلك في سالف الدهر . ثم دعا عليه فقال : أمك هابل . هبلته ثكلته وفقدته

(٤) قوله فتعلم منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية . وأن الداخلة على لا مخففة من الثقيلة . ووائل ناج من وألت النفس بمعنى نجت والموئل المنجى

(٥) قوله فان أنت لم تصدقك البيت . يريد ان كذبتك نفسك ولم تصدق في هذه الاخبار فانتسب وقل ابن فلان ابن فلان فانك لاترى أحداً بقي . لعلك ترشدك هذه القرون . وروى « فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب » . والقرون جمع قرن وهو أهل زمن واحد . وقوله فلتزعك أمر باللام ووزعه يزعه بفتح عين المضارع وكسرها : كفه . ومعنى البيتين أن غاية الانسان الموت . فينبغي له أن يتعظ بأن ينسب نفسه

أرى الناس لايدرون ما قَدْرُ أمرهم   بلى كل ذى رأى الى الله واسل (١)
ألا كل شىء ماخلا الله باطل   وكل نعيم لامحالة زائل (٢)
وكل أناس سوف تدخل بينهم   دُوَيهية تصفرّ منها الأنامل (٣)

الى عدنان فان يجد مَن بينه وبين عدنان من الآباء باقياً فليعلم أن مصيره مصيرهم . وينبغى أن ينزع عما هو عليه . والعواذل هنا حوادث الدهر وزواجره واسناد العذل اليها مجاز عقلى .

---

(١) قوله أري الناس البيت . فيه الواسل الراغب الى الله والطالب . وروى بدل رأى : لب . والمعنى أرى الناس لايدرون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالعاقل اللبيب من يتوسل الى الله بالطاعة والعمل الصالح

(٢) قوله : ألا كل شئ البيت . قد وقع هذا البيت فى بعض الروايات أول القصيدة . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد . ألا كل شىء ماخلا الله باطل »

وروى ان لبيداً قدم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فقال : « ألا كل شئ ماخلا الله باطل » فقال له : صدقت ولما قال : « وكل نعيم لامحالة زائل » قال له: كذبت . نعيم الآخرة لايزول . وأجاب العلامة العينى عن هذا بجوابين : الاول أن لبيداً انما قال هذا قبل أنْ يسلم فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت ان الجنة لا وجود لها أو كان يعتقد وجودها ولا يعتقد دوامها كما ذهبت اليه طائفة من أهل الاهواء والضلال

والثانى انه يمكن ان يكون أراد به ماسوى الجنة من نعيم الدنيا لانه كان فى صدد ذم الدنيا وبيان سرعة زوالها (وأرى ان هذا الاقرب) والمراد بالباطل فى البيت : الزائل الفانى . والمحالة . الحيلة

(٣) قوله : وكل أناس البيت . دويهية تصغير داهية . والمراد بها الموت وهى فى الاصل الامر العظيم

وكل امرئ يوما سيعلم سعيهُ إذا كُشفت عند الاله الحصائل[1]

ومن أجود شعره معلقته التي مطلعها :

(عفت الديار محلها فمُقامها بمِنىً تأبد غَوْلها فرجامها)

عفت درست . والمحل اسم مكان من حل بمعنى نزل . والمقام اسم مكان من أقام بمعنى مكث . ومنى موضع بمكة وآخر بنجد وهو المراد . وتأبد توحش. والغول والرجام موضعان . والمعنى أن الديار درست أجزاؤها . ما كان يحل فيه الضيوف وما كان يقيم فيه أهلها . ومنها :

(وجلا السيول عن الطلول كأنها زُبُرٌ تجد متونَها أقلامها)

جلا عنه تجاوزه . والطلول جمع طلل وهو الأثر الشاخص . وزبر جمع زبور وهو الكتاب المتقنة كتابته . وزبر الكتاب من بابى نصر وضرب كتبه كتابة متقنة . والمعنى أن الاطلال بعد أن جاوزها السيل ظهرت ككتابة جددت

قيل إن الفرزدق لما سمع هذا البيت سجد . فقيل له ماهذا يا أبا فِراس . فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر

ومنها قوله فى وصف ليلة ماطرة مغيمة :

(يعلو طريقة متنها متواتر فى ليلة كفر النجوم غمامها)

الطريقة الخط فى الشئ وهى أيضاً ماعلى أعلى الظهر وطريقة المتن ما امتد منه . والمتن الظهر يذكر ويؤنث . وضمير متنها يعود على بقرة الوحش . والتواتر تتابع الاشياء وبينها فترات . ومتواتر اسم فاعل منه وهو صفة لموصوف محذوف تقديره مطر . كفر ستر

---

(١) وقوله : وكل امرئ البيت . سعيه عمله. والحصائل بالحاء والصاد المهملتين الحسنات والسيئات التى تحصى فى كتابه . وهذا البيت يدل على أن لبيداً كان يؤمن بالبعث قبل اسلامه

ومنها وهو من أمثاله السائرة :

(فاقطع لُبانة من تعرض وصله ولشر واصل خُلة صرامها)

ويروى ولخير وهو أمكن

(وأحب المجامل بالجميل وصرمه باق اذا ظلعت وزاع قوامها)

اللبانة الحاجة . وتعرض الشيء دخله الفساد أو تعوج ولم يستقم . الخلة الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل تكون فى عفاف الحب ودعارته . ظلع يظلع عرج

ومنها وهو من حكمه :

(فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائقَ بيننا علامها)

الخليقه الخلق . تقول: هم خليقة الله وخلق الله . والخليقة الطبيعة التى يخلق بها الانسان والجمع خلائق

ومنها فى فخره وتمدحه قوله :

(إنا اذا التقت المحافل لم يزل منا لِزاز عظيمة جشامها

ومقسم يعطى العشيرة حقها ومغذمر لحقوقها هضامها

واذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسما اليه كهلها وغلامها)

المحافل المجامع . لزاز ملازم . جشامها متكلفها وحاملها . المغذمر هو الذى يأخذ من هذا ويعطى هذا ويدع هذا . ومما يستحسن له قوله :

(واكذب النفس اذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل

غير أن لا تكذبنها بالتقى واَخْزُها [1] بالبر لله الأجل)

اخزها سسها ــ المعنى مَنِّ نفسك الخير وعدها إياه ولا تقل لها : مصيرك الزوال ولا خير فى الحرص على ما لا يبقى ، فتزرى بآمالك واُصدقها فى طاعة الله

---

(١) اخزُها سُسْها

وتقواه - قيل لبشار بن برد أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب . فقال : ان تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد . ولكن قد أحسن كل الاحسان لبيد في قوله : واُكذب النفس البيت

ومن أمثاله السائرة قوله :

(ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح)

قيل : لم يقل فى الاسلام شعراً غيره . وقيل ان ما قاله فى الاسلام هو :

(الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا)

ويبعد هذا ما سيأتى من شعره فى عمره وسنى حياته ، وينقضه ما روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة أن استنشد من عندك من شعراء مصرك ما قالوه فى الاسلام . فأرسل الى الاغلب العجلى : أن أنشدنى . (أى ماقلت فى الاسلام) . فقال :

(لقد طلبت هينا موجودا أرجزا تريد أم قصيدا)

ثم أرسل الى لبيد . فقال : إن شئت ما عفى عنه يعنى فى الجاهلية . قال : لا . ما قلت فى الاسلام فانطلق الى بيته فكتب سورة البقرة ثم أتى بها . فقال : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر . فكتب بذلك المغيرة الى سيدنا عمر رضى الله عنه فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة ، وزادها فى عطاء لبيد . فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب الى عمر رضى الله عنه :

تنقص عطائي ان أطعتك ؟ فرد عليه خمس المائة وأقر لبيداً على الألفين وخمس المائة . فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه وأراد أن يحمل عطايا الناس الفين قال له : هذان الفودان فما هذه العلاوة . فقال له لبيد : أموت ويبقى لك الفودان والعلاوة وإنما أنا هامة اليوم أو غد . فرقّ له وترك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك بيسير

ومن أحكم شعره ما قاله فى رثاء أخيه أربد[1] لأمه :

بَلِينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع[2]
وقد كنت فى أكناف جار مَضِنَّةٍ ... ففارقنى جار بأربد نافع
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا ... فكل فتى يوماً به الدهر فاجع
وما الناس الا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وغدواً بلاقع[3]
وما البر الا مضمرات من التقى ... وما المال الا معمرات ودائع[4]
وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما الناس الا عاملان فعامل ... يتَبِّر ما يبنى وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقى بالمعيشة قانع
أليس ورائى إن تراخت[5] منيتى ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت ... أدب[6] كأنى كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه ... تقادم عهد القين والنصل قاطع
فلا تبعدن ان المنية موعد ... علينا فدان للطلوع وطالع

---

(١) هو أربد بن قيس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم غادراً مع عامر بن الطفيل فدعا الله عليهما فمات عامر بالطاعون ونزلت صاعقة على أربد فأحرقته . ويقال فيه نزلت « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » . ورثاه لبيد بأشعار كثيرة .

(٢) جمع مصنعة وهى ما يصنعه الناس من الابنية والقصور والحصون

(٣) خالية (٤) أعمرته داراً أو أرضاً جعلتها له عمره أو عمرى . وقوله وما البر والبيت بعده فيهما ايطاء وهو أن تتفق له قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد

(٥) التراخي التقاعد عن الشيء (٦) دب الشيخ دبيبا مشى رويداً

أعاذل ما يدريك الا تظنياً　　اذا رحل السُّفار من هو راجع

ومما سَبق اليه :

من المسبلين الربط لَذٍّ كأنما　　تشرّب ضاحى جلده لون مُذْهب

أخذه الاخطل فقال :

لذٍّ تقبّله النعيم كأنما　　مسحت ترائبه بماء مذهب

ولبيد أول من شبه الاباريق بالبط . فأُخذ ذلك منه . قال يذكر الخمر :

تُضمّن بيْضاً كالإوز ظروفها　　اذا أتأقوا أعناقها والحواصلا

فأخذه ابن الطثرية فقال :

ويوم كظل الرمح قصر طوله　　دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

كأن أباريق الشمول عشية　　إوَز على الطف عوج المناقر

ومما يعاب عليه فى القصيدة التى منها « واكذب النفس اذا حدثتها » :

ومقام ضيق فرجته　　بمَقامى ولسانى وجدل

لو يقوم الفيل أو فيّاله　　زل عن مثل مَقامى وزحل

قالوا : ليس للفيال من الخطابة والبيان ولا من القوة ما يجعله مثلا لنفسه . وانما ذهب الى أن الفيل أقوى البهائم فظن ان فياله أقوى الناس. قال أبو محمد (صاحب كتاب الشعر والشعراء) وانا أراه أراد بقوله لو يقوم الفيل مع فياله فأقام أو مقام الواو . ويقول علىّ : أراد أنه كان فى مقامه هذا ثابتاً ثبات الرواسى فلم تمكن زحزحته ولو قام الفيل أو فياله مقامه ما ثبت .

وله وقد بلغ سبعاً وسبعين سنة :

نفسى تشكى إلى الموت مجهشة　　وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثاً تبلغى أملا　　وفى الثلاث وفاء للثلاثينا

مجهشة مهيئة للبكاء .

ولما جاوز تسعين حجة قال :

كأني وقد جاوزت تسعين حجة   خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

الرداء من معانيه السيف والجهل

ولما بلغ عشراً ومائة سنة قال :

أليس في مائة قد عاشها رجل   وفي تكامل عشر بعدها عمر

ولما جاوز هذا السن قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد

باطلاعك على ماتقدم من شعره المملوء حكما ومواعظ ، هذا الى فخره وغيره من فنون الشعر تتبين صفاء عقله وسلامة نحيزته وإحكام الايام طبعه وحسن الأسلوب وجودة الانشاء وتعلم أنه كان من المعمرين . هذا وتوفي سنة اثنتين وأربعين من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ودفن بالكوفة

﴿ عمرو بن كلثوم ﴾

هو أبو عبّاد عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي . أحد فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم وفتاكهم . من أهل الجزيرة ومن الطبقة الأولى ومن المقلين . وهو صاحب المعلقة المشهورة التي يذكر فيها أيام تغلب ويفتخر بهم . والحامل على إنشائها قضيته مع عمرو بن هند [1] الآتية . وكان قام بها خطيباً فيما بينه وبين عمرو بن هند

(١) عمرو هذا هو ابن المنذر الاكبر ابن ماء السماء وهو من ملوك الحيرة . وماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدي . وهو أبو عمرو مزيقيا . ولقب بذلك لانه كان يمون قومه اذا أجدبوا حتى يأتيهم الخصب . وقيل لولده بنو ماء السماء . وماء السماء أيضاً لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي ولقبت بذلك لجمالها وقيل لولدها بنو ماء السماء وهم ملوك العراق

ولَمّا قال عمرو هذه القصيدة شغف بها بنو تغلب حتى حفظها الصبيان . وفى ذلك يقول شاعر من بكر :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم   ياللرجال لشعر غير مسئوم

ومطلع معلقة عمرو :

(ألا هبى بصحنك فاصبحينـا   ولاتبقى خمور الاندرينا)

هبى . استيقظى . والصحن القدح العريض . واصبحينا : اسقينا الصبوح . والصبوح شراب الغداة . وأما شراب العشىّ فهو الغبوق . والخمور جمع خمر وهى مؤنثة . سميت بذلك لمخامرتها العقول . والاندرين اسم قرية (بالشام) بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب . ومن أمثاله السائرة فيها :

(وإن غداً وإن اليوم رهن   وبعد غد بما لا تعلمينا)

رهن كفيل

ومنها فى الفخر :

(وقد علم القبائل من معد   إذا قُبب بأبطحنا بنينا)

ويروى غير فخر . الأبطح مسيل واسع فيه دُقاق الحصى

(بأنا المنعمون اذا قدرنا   وأنا المهلكون اذا ابتلينا)

ويروى :

(بأنا العاصمون اذا أُطِعنا   وأنا العارمون اذا عُصينا)
(وأنا المانعون إذا أردنا   وأنا النازلون بحيث شينا)

ويروى :

(وأنا المنعمون اذا قدرنا   وأنا المهلكون إذا أتينا)
(ألا أبلغ بنى الطماح عنا   ودُعمياً فكيف وجدتمونا)

بنو الطماح ودعمى حيان من بنى أسد بن ربيعه بن نزار

(إذا ما الملك سام الناس خسفاً   أبينـا أن نقر الذل فينـا

لنـا الدنيـا ومن أمسى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا)

البطش التناول بشدة عند الصولة والاخذ الشديد

(بغاةً ظالمين وماظُلمنـا   ولـكنا سنبدأ ظالمينـا

ملأنا البر حتى ضاق عنـا   ونحن البحرَ نملؤه سـفينا

إذا بلغ الرضيع لنـا فطاما   تخر له الجبابر ساجدينـا)

ومما غنى به من شعره :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا   ولاتبقى خمور الاندرينـا

مشعشعة كأن الحصَّ فيهـا   إذا ما الماء خالطها سـخينا

ساد عمرو بن كلثوم قومه وهو ابن خمس عشرة سنة . ومات وهو ابن مائة وخمسين . وهو قاتل عمرو بن هند (المتقدم ذكره فى ترجمة طرفة بن العبد) وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ؟ قالوا : لانعلم إلا ليلى أم عمرو بن كلثوم قال : ولم ؟ قالوا : لأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمهـا كليب وائل أعز العرب . وبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب وابنها عمرو بن كلثوم سـيد قومه . فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه (عمرو بن كلثوم) أمه (عمر بن هند) فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعة من بنى تغلب وأقبلت ليلى فى ظعن [1] من بنى تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه (فسطاطه) فضرب مابين الحيرة (مدينة بغرب الـكوفة) والفرات . وأرسل الى وجوه أهل مملـكته فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه .

---

(١) الظعن جمع ظعينة ومن معانيها المرأة فى الهودج . هند أم عمرو عمة امريء القيس بن حجر ملك بنى أسد . وليلى بنت مهلهل خال امرىء القيس

ودخلت ليلى بنت مهلهل على هند قبتها ودعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها . ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ياليلى ناوليني ذلك الطبق . فقالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فأعادت عليها . فلما ألحت صاحت ليلى : واذلاه . ياتغلب ! فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم فى وجهه . فقام الى سيف لعمر و بن هند معلق بالرواق وليس هناك سيف غيره . فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله . ونادى فى بنى تغلب. فانتهبوا جميع مافى الرواق واستاقوا نجائبه . وساروا نحو الجزيرة

وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

(بأى مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا)

القيل الملك دون الملك الاعظم . القطين الخدم

(تهددنا وتوعدنا رويداً متى كنا لامك مقتوينا)

اقتوى خدم بقوة

(وإن قناتنا ياعمرو أعيت على الاعداء قبلك أن تلينا)

القناة عود الرمح والمراد هنا العزة أو النفس

هذا وابنه عَبَّاد بن عمرو بن كلثوم قاتل بشر بن عمرو بن عُدُس . وأخوه مرة قاتل المُنذر بن النعمان . ولذلك قال الاخطل :

ابنى كليب إن عمَّىَّ اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

يعنى بعميه عمراً ومرة ابنى كلثوم . وقال الفرزدق لجرير :

ماضر تغلب وائل أهجوتها أم بُلت حيث تناطح البحران

قوم همو قتلوا ابن هند عنوة عمراً وهم قسطوا على النعمان

فائدة : من عقب عمرو بن كلثوم العتَّابى الشاعر المشهور واسمه كلثوم بن عمرو ويكنى أبا عمرو وكان كاتباً مجيداً فى الرسائل وشاعراً نحريراً

﴿ عنترة[1] ﴾

هو عَنْتَرَةُ بن عَمرو بن شداد (فشداد جده أبو أبيه غلب على اسم أبيه فنسب اليه) . وادعاه أبوه بعد الكبر وذلك انه كان لامةٍ سوداء يقال لها زبيبة وكانت العرب فى الجاهلية إذا كان لاحدهم ولد من أمة سوداء استعبده وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد .

وسبب ادعاء أبى عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس . فأصابوا منهم . فتبعهم العبسيون فلحقوهم . فقاتلوا عما معهم . وعنترة فيهم . فقال له أبوه : كُرّ ياعنترة . فقال عنترة : العبد لايحسن الكر . انما يحسن الحلاب والصّر .

فقال : كر وأنت حر . فكر وهو يقول :

كل امرىء يحمى حره   أسوده   وأحمره

والشعرات الواردات مشفرة

وقاتل يومئذ فابلى واستنقذ ما كان بأيدى عدوهم من الغنيمة . فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه . وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة : عنترة وأمه زبيبة . وخفاف بن عُمَير الشريدى من بني سُليم وأمه ندبة (كثمرة) واليها ينسب وكانت سوداء . وسليك بن عُمَير السعدى وأمهُ سلكة واليها ينسب . وكانت سوداء

وكان عنترة من أشجع أهل زمانه ، وأجودهم بما ملكت يده . وشهد حرب داحس والغبراء فحسن بلاؤه وحمدت مشاهده . وقتل فيها ضَمْضَما المُرّيّ وفى ذلك يقول :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر   للحرب دائرة على ابنى ضمضم

---

(١) العنترة فى اللغة الذبابة الزرقاء والجمع عنترة . قال سيبويه نون عنترة ليست بزائدة .

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لَمَ القهما دمى
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر [١] السباع وكل نسر قشعم [٢]

وهو من شعراء الجاهلية المشهورين كما كان من الفرسان المذكورين . وحذاق الشعراء يفضلون عمرو بن كلثوم عليه على منزلته الرفيعة فى البلاغة . هذا وكان قبل قوله المعلقة لا يقول من الشعر الا البيتين أو الثلاثة . حتى سابَّه رجل من بنى عبس فذكر سواده وسواد أمه وعيَّره بذلك وبأنه لا يقول الشعر فقال له عنترة : والله ان الناس ليترافدون الطُعمة فما حضرت مَرْفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط . وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيناك فى خيل مغيرة في أوائل الناس قط . وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة ويصل . وانما أنت فقع نبت بقرقر وإنى لاحتضر البأس ، وأوفى المغنم ، وأعف عن المسئلة ، وأجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصماء . وأما الشعر فستعلم . فكان أول ما قال « من القصيد » معلقته التى مطلعها :

« هل غادر الشعراء من متردَّم [٣] أم هل عرفت الدار بعد توهم »

وهى أجود شعره . وكانوا يسمونها المذهبة

ومما سبق اليه ولم ينازع فيه قوله من معلقته :

« وإذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندًى وكما علمت شمائلى وتكرمى »

---

(١) جزر السباع أى مقتولا تأكله السباع (٢) القشعم الكبير

(٣) قال أبو على القالى فى أماليه : هدم ملدم ومردم أى مرقع . وقد ردم ثوبه رقعه . ومعنى البيت هل ترك الشعراء شيئاً يُرقع . وهذا مثل . وانما يريد هل تركوا مقالا لقائل . ومن الداخلة على متردم زائدة . والمراد من متردم شىء يصلح لم يكونوا اصلحوه

وقوله :

« وخلا الذباب بهـا فليس ببارح غَرِداً[١] كفعل الشارب المترنم

هزِجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم[٢] »

وهو من أحسن التشبيه

وقوله من غير المعلقة :

« إنى امرؤ من خير عبس منصباً شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معمّ مُخوَل »

يقول النصف من نسبي فى خير عبس والنصف الآخر وهو نسبى فى السودان.
أحميه بالسيف

ومن حسن شعره قوله :

« بكرت تخوفنى الحتوف[٣] كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها ان المنيـة منهل لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقْنَىْ حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت ان لم أقتـل

ان المنيـة لو تمثل مثلت مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل »

ومما يدل على عزة نفسه وترفعه عن المسئلة قوله :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت قال :

ماوصف لى اعرابى قط فأحببت أن أراه الا عنترة

ومن أمثاله السائرة :

---

(١) غرد طرب . (٢) الهزج صوت مطرب . وتدارك الصوت فى خفة وسرعة . ويقال : عود هزج ومغن هزج . والمكب على العمل الملازم له

(٣) قوله الحتوف يروى المنون . وهو منصوب على انه مفعول والفاعل مستتر

« نبئت عمراً غير شاكر نعمتى   والكفر مخبثة لنفس المنعم »

ومن غلوه وإفراطه قوله :

« وأنا المنية فى المواطن كلها   والطعن منى سابق الآجال »

وفى هذه القصيدة يفخر بأخواله من السودان إذ يقول :

« إنى لتعرف فى الحروب مواطنى   فى آل عبس مشهدى وفعالى
منهم أبى حقاً فهم لى والد   والأم من حام فهم أخوالى »

هذا . ومات عنترة قتيلا قبل الهجرة بنحو اثنتين وعشرين سنة والذى قتله وِزْر بن جابر النَّبْهانى . وقيل هبّار الملقب بالاسد الرهيص . قال :

أنا الاسد الرهيص قتلت عمراً   وعنترة الفوارس قد قتلت

« الحرث بن حِلِّزَة »

هو أبو ظليم الحرث بن حلزة(١) من بنى يشكر بن وائل . شاعر مشهور من أهل العراق من شعراء الطبقة الاولى . ويُعَدُّ من المقلين . وكان به وَضَحٌ (برص) . قال أبو عبيدة : أجودُ الشعراء قصيدةً واحـدةً طويلةً ثلاثةُ نفر . عمرو بن كلثوم . والحرث بن حلزة . وطرفة بن العبد . وزعم الاصمعى أن الحرث بن حلزة قال معلقته وله من العمر يومئذ مائة وخمس وثلاثون سنة . ومطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء   ربّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواء

آذنت أعلمت — ثاو مقيم — ومعنى قوله رُبّ ثاو الخ كثير من المقيمين تكره اقامتهم وتمل لـكن اسماء لاتمل إقامتها

---

(١) بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة . وهو (فى الاصل) كما قال الصاغانى اسم دويبه واسم البومة . والذكر بدون هاء . ويقال للمرأة القصيرة وللبخيلة حلزة . والحلز السيء الخلق

وبعده :

بعد عهد لنا ببرقة شماء فأدنى ديارها الخلصاء

البرقة أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . وشماء اسم أكمة أو موضع . والخلصاء اسم موضع فيه ماء أو اسم ماء في البادية

ومنها :

أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل(١) لذاك بقاء

لا تخلنا على غراتك إنا طالما قد وشى بنا الاعداء

فبقينا على الشناءة تنمينا جدود وعزة قعساء

المرقش اسم فاعل من الترقيش وهو النم والتحريش . غراتك إغرائك فهو اسم مصدر أغرى . الشناءة البغض . تنمينا ترفعنا . قعساء ثابتة

ومنها :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

أجمع أمره وأجمع عليه عزم عليه . الرغاء صوت الابل

قال الاصولى مايوصف تأهب القوم للسفر وإقبالهم على جمع الآلات للارتحال بأحسن من قول الحرث

ومنها :

هل علمتم أيام ينتهب النـ اس غواراً لكل حي عواء(٢)

إذ رفعنا الجمال من سعف البحـ رين سيراً حتى نهاها الحساء(٣)

---

(١) الواو زائدة والاستفهام انكارى

(٢) الغوار الاغارة — العواء صياح الذئب والكلب وابن آوى وقد يستعار لغيرها (٣) رفعنا الجمال كلفناها السير المرفوع وهو فوق الموضوع ودون الحضر والمرفوع والموضوع مصدران جاءا على مفعول مثل المجلود والمعقول . والسعف ورق جريد النخل الواحدة سعفة وقد يطلق على النخل . نهاها كفها . الحساء موضع

ثم ملنا على تميم فأحرمنـا ... وفينا بنات قوم إماء (١)

لا يقيم العزيز بالبلد السهـ ... ـل ولا ينفع الذليل النجاء (٢)

ليس ينجي موائلا من حذار ... رأس طود وحرة رجلاء (٣)

والسبب الذي دعا الحرث الى إنشائه معلقته أن عمرو بن هند لما ملك الحيرة (وكان جباراً) جمع بكراً وتغلب فأصلح بينهم وأخذ من الحيين رُهناً: من كل حيٍّ مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض فكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون معه (عمرو بن هند) فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون (كذا قيل) فقالت بكر لتغلب: أعطونا ديات أبنائنا فان ذلك لازم لكم. فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت (١) تغلب إلى عمرو بن كلثوم. وأخبروه بالقصة فقال عمرو: أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصلع أصم من بنى يشكر. فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بنى ثعلبة بن غنم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك. فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون. ثم لا ينكر ذلك. فقال عمرو بن كلثوم له: أما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها. فقال له النعمان: والله لو فعلت ما أفلت بها قيس ابن أبيك. فغضب عمرو

---

(١) أحرم: دخل الشهر الحرام وهو أحد معانيه (٢) العزيز القوى — النجاء الاماكن المرتفعة التى تعصم وتنجى وهو جمع نجوة كركوة وركاء (٣) موائلا لاجئا. الطود الجبل العظيم. الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها احرقت بالنار — والنخرة البالية أو الفارغة التى يجىء منها عند هبوب الريح كالنخير. الرجلاء الصلبة الخشنة التى لا تعمل فيها خيل ولا إبل ولا يسلكها الا راجل (٤) قوله. فاجتمعت الخ هو أصل اتخاذ المداره والمحامين وكلاء فى القضايا العظيمة

ابن هند وكان يؤثر بنى تغلب على بكر . وجرى بين الملك والنعمان حوار أغضبه (عمرو بن هند) غضباً شديداً حتى هم بالنعمان . فقام الحرث بن حلزة فارتجل معلقته ارتجالا . وتوكأ على قوسه وانشدها واقتظم كفه (قطع) وهو لايشعر من الغضب حتى فرغ منها (وكان عمرو بن هند لاينظر الى أحد به سوء فكان ابن حلزه إنما ينشده من وراء سبعة ستور لما كان به من الوضح) فأعجب عمرو بن هند بمنطقه وكانت هند أم عمرو تسمع . فقالت لابنها : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً وادنوا الحرث . وما زالت هند يزيد اعجابها به والملك يقول : ارفعوا ستراً ، حتى أزيلت الستور السبعة ، وأقعده (الملك) قريباً منه على مجلسه ، ثم أطعمه فى جفنته . وأمر ألا ينضح أثره (وكانوا يفعلون ذلك بمن به وضح) وحكم (عمرو بن هند) أنه لايلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب ، كما سيأتى . ثم جز (الملك) نواصى الذين كانوا رهناً فى يده من بكر ودفعهم الى الحرث . ثم أمره ألا ينشد قصيدته إلا متوضئا.

وكان أبو عمرو الشيبانى يَعجبُ لارتجال الحرث هذه القصيدة فى موقف واحد ويقول : لو قالها فى حول لم يُلم . هذا وقد ذكر الحرث فى معلقته عدة أيام من أيام العرب . عيَّر ببعضها بنى تغلب تصريحاً وعرض ببعضها لعمرو بن هند وافتخر فيها فخراً جعله مضرب المثل فقيل أفخر من الحرث بن حلزة فمن ذلك قوله :

أعلينا جناح كندة أن يغـنم غازيهم ومنا الجزاء

كانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث [1] اليهم رجالا من تغلب يطالبونهم بذلك . فقتلوا . ولم يدرك بثأرهم . وهكذا البيت الذي يليه وهو :

---

(١) قوله فبعث الخ هو أصل تعيين محصلى الخراج وجباة الاموال

أم علينا جرّى قضاعة أم ليس علينا فيما جنوا أنداء

كانت قضاعة غزت بنى تغلب ففعلت بهم فعل كندة ولم يكن منهم فى ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثاراً

ومن هذه القصيدة ما يحرض به عمرو بن هند على بنى حنيفة حلفاء بنى تغلب وهو قوله :

أم علينا جرّى حنيفة أم ما جَمَّعَتْ من محاربٍ غبراء

كانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر فأذكر الحرثُ عمرَو بن هند بهذا البيت قَتْلَ شَمر بن عمرو الحنفى أحد بنى سُحَيم المنذرَ بن ماء السماء غِيلةً لما حارب الحرث بن جبلة الغسانى . وبعث الحرث الى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الامان على أن يخرج له من ملكه ويكون من قبله . فركن المنذر الى ذلك . وأقام الغلمان معه . فاغتاله شمر بن عمرو الحنفىُّ . فقتله غِيلة . وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره . فحرضه (الحرث بن حلزة) على بنى حنيفة حلفاء بنى تغلب ثم اعتد على عمرو بن هند بحسن بلاء بكر عنده فقال :

من لنا عنده من الخير آيا تٌ ثلاثٌ فى كلهن القضاء

آيةٌ شارق الشقيقة اذ جا ءوا جميعاً لكل حىّ لواء (١)

حول قيس مستلئمين بكبش قرظىّ كأنه عبلاء (٢)

---

(١) آية تروى « انه » الشقيقة مكان معلوم . وشارق الشقيقة جانبها الشرقى الذى يلى المشرق (٢) مستلئمين لابسين للأمة وهى الدرع والجمع لؤم كغرف على غير قياس . وكبش الكتيبة قائدها ، وكبش قرظى بفتح القاف وضمها وفتح الراء منسوب الى بلاد القرظ وهى اليمن لانها منابت القرظ والقرظ ورق السلم يدبغ به الادم . والعبلاء الصخرة البيضاء

فرددناهمو بضربٍ كما يخـرج من خُرْبة المزاد المـاء (١)
ثم حجرا (٢) أعنى ابن أمّ قطام وله فارسـية خضراء
أسد فى اللقاء ذو أشـبال وربيع إن شنّعت غبراء (٣)
فرددناهمو بطعن كما يُنـ ـهز فى جمة الطوىّ المـاء (٤)
وفككنا غلّ امرىء القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وأقدناه رب غسان بالمنـ ـذر كرهاً وما تطلّ الدماء
وفديناهمو بتسعة أمـلا ك كرام أسلابهم أغلاء

يعنى بهذه الأيّام أياماً كانت كلها لبكر مع المنذر :

فمنها يوم الشقيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن معد يكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل لعمرو بن هند

ومنها يوم غزا حُجرٌ الكندي (وهو حجر بن أم قطام) امرؤ القيس وهوماء السماء بن المنذر . لقيه ومع حجر جمع كثير من كندة . وكانت بكر مع امرىء القيس فخرجت الى حجر فردته وقتلت جنوده . وقوله « ففككنا غل امرىء القيس عنه» يشير به الى ما كان من غسان من أسر امرىء القيس يوم قتلِ المنذر أبيه واغارة بكر بن وائل على بعض بوادى الشام وقتلهم ملكا من ملوك الشام واستنقاذ امرىء القيس (وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك ، يقال لها ميسون)

---

(١) قوله فرددناهمو ويروى فجبهناهم . الخربة بضم الخاء المعجمة الثقب

(٢) قوله ثم حجراً منصوب بالعطف على ضمير الغائبين فى رددناهم

(٣) الاشبال جمع شبل بكسر الشين وسكون الباء الموحدة من تحت ولد الاسد. شنع قبح . والغبراء الأرض (٤) جمة بفتح الجيم كثير . الطوى البئر المطوية بالحجارة وهو مذكر فان أنث فعلى المعنى كما يذكر البئر على المعنى ويجمع على أطواء كما جمعوا شريفاً على أشراف

وقوله وفديناهمو بتسعة أملاك يريد بني حجر آكل المرار . وكان المنذر وجه خيلا من بكر في طلب بني حجر . فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم وهم تسعة فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا بمكان يقال له جفر الاملاك

فلما فرغ الحرث من هذه القصيدة حكم عمرو بن هند أنه لايلزم بكر بن وائل ماحدث على رهائن تغلب فتفرقوا على هذه الحال ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام أم عمرو بن كلثوم تعرضاً لهم واذلالا فقتله عمرو بن كلثوم كما علمت في ترجمته

هذا ومما استحسن واستجيد وغني من به شعره قوله :

مَنْ حاكم بيني وبين الده	ر مال عليَّ عمدا
أودى بسادتنا وقد	تركوا لنا حلقا وُجردا [1]
خيلي وفارسها ور	ب أبيك كان أعز فقدا
فلو أن ما يأوى إل	ي أصاب من ثهلان هدا [2]
فضعي قناعك ان ريـ	ب الدهر قد أفنى مَعَدّا
فلكم رأيتُ معاشراً	قد جمعوا مالاً وولُدا
وهمو رَبابٌ حائرٌ	لايسمع الآذان رعدا [3]
عِيشي بجد لايضرْ	ك النوكُ مالاقيتِ جَدّا [4]
والنوك خير في ظلا	ل العيش ممن عاش كدّا [5]

(١) الحلق : الابل المحلقة وهي الموسومة بحلقة في أفخاذها أو آذانها . الجرد جمع أجرد وهو من الخيل والدواب كلها القصير الشعر (٢) ثهلان جبل (٣) الرباب السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب وهو أيضاً السحاب الابيض والواحدة ربابة . حائر ممتليء ماء (٤) الجد ، الحظ والبخت في الدنيا . والنوك الحمق (٥) قوله والنوك البيت يريد أن يفضل الحمق في عيش رغد على العقل في عيش

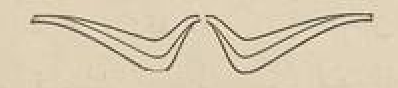
وله يوصى ابنه عمرا :

قلت لعمرو حين أرسلته وقد حبا من دونه عالج

لاتكسع الشول بأغبارها انك لاتدرى من الناتج

وأصبب لأضيافك ألبانها فان شر اللبن الوالج

« تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى »



نكد لانه مادى . ويرويه علماء البلاغة هكذا :

والعيش خير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا

ويقولون : يريد أن العيش الرغد مع الحمق خير من الضيق مع العقل ، ويمثلون بهذا البيت للايجاز المخل

المراجع

١ خزانة الادب للبغدادى
٢ شواهد العلامة العينى
٣ لسان العرب لابن منظور
٤ قاموس الفيروزبادى
٥ المصباح
٦ الصحاح
٧ الكامل للمبرد
٨ الامالى لابى على القالى
٩ العمدة لابن رشيق
١٠ غاية الارب للالوسى
١١ نيل الأرب للنويرى
١٢ الأغانى للاصفهانى
١٣ صبح الاعشى
١٤ كتاب المرحوم الشيخ حسين المرصفي في الانشاء
١٥ طبقات الشعراء لابن سلام
١٦ مذكرة المرحوم حسن افندي توفيق العدل
١٧ تاريخ أدب اللغة العربية لجورجي زيدان
١٨ كتاب أدبيات اللغة
١٩ مذكرة الاستاذ الشيخ علام سلامة
٢٠ مذكرة الاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى
٢١ مقدمة ابن خلدون
٢٢ كتاب الشهيدى افندى في الخط
٢٣ تاريخ الاندلس
٢٤ شعراء النصرانية
٢٥ الشعر والشعراء لابن قتيبة
٢٦ الوسيلة الادبية
٢٧ ابن خلكان
٢٨ حقائق الاخبار لسيرهنك باشا
٢٩ الصاحبى
٣٠ البيان والتبيين للجاحظ
٣١ المزهر للسيوطي
٣٢ نزهة الالباء فى طبقات الادباء
٣٣ تاريخ أبى الفدى
٣٤ مذكرة الاستاذ الشيخ عبد العزيز خليل
٣٥ المنتحل
٣٦ خطط المرحوم على مبارك باشا
٣٧ دائرة المعارف للبستانى
٣٨ المعلقات رواية التبريزى وشرحها له
٣٩ جمهرة أشعار العرب لابى زيد
٤٠ تاريخ الفخرى
٤١ مجانى الادب
٤٢ ديوان الحماسة لأبي تمام وشرحه للتبريزي
٤٣ كتاب طيفور
٤٤ خطبة جبر ضومط
٤٥ المواهب الفتحية

﴿ فهرس الجزء الأول ﴾

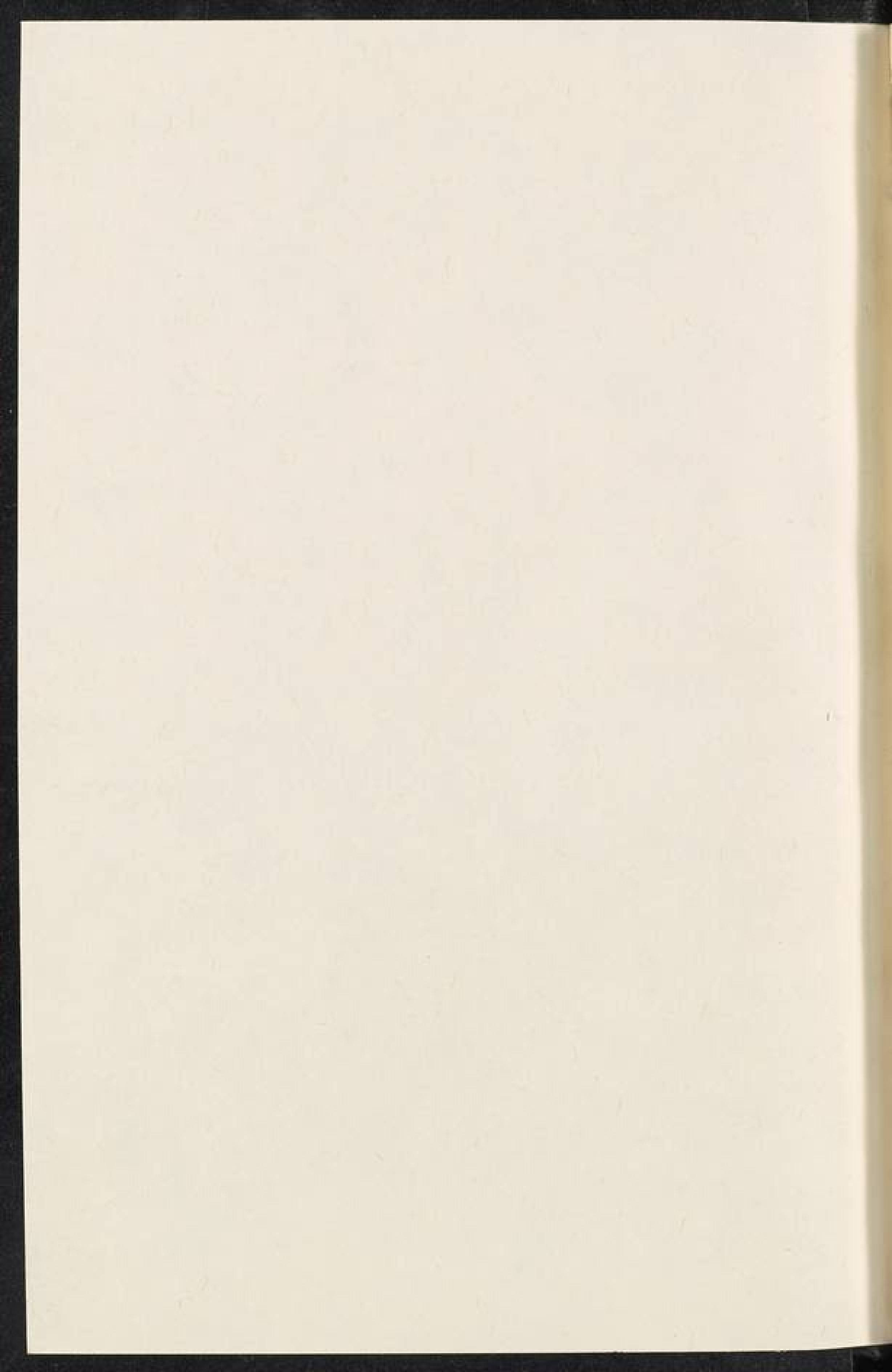
صحيفة

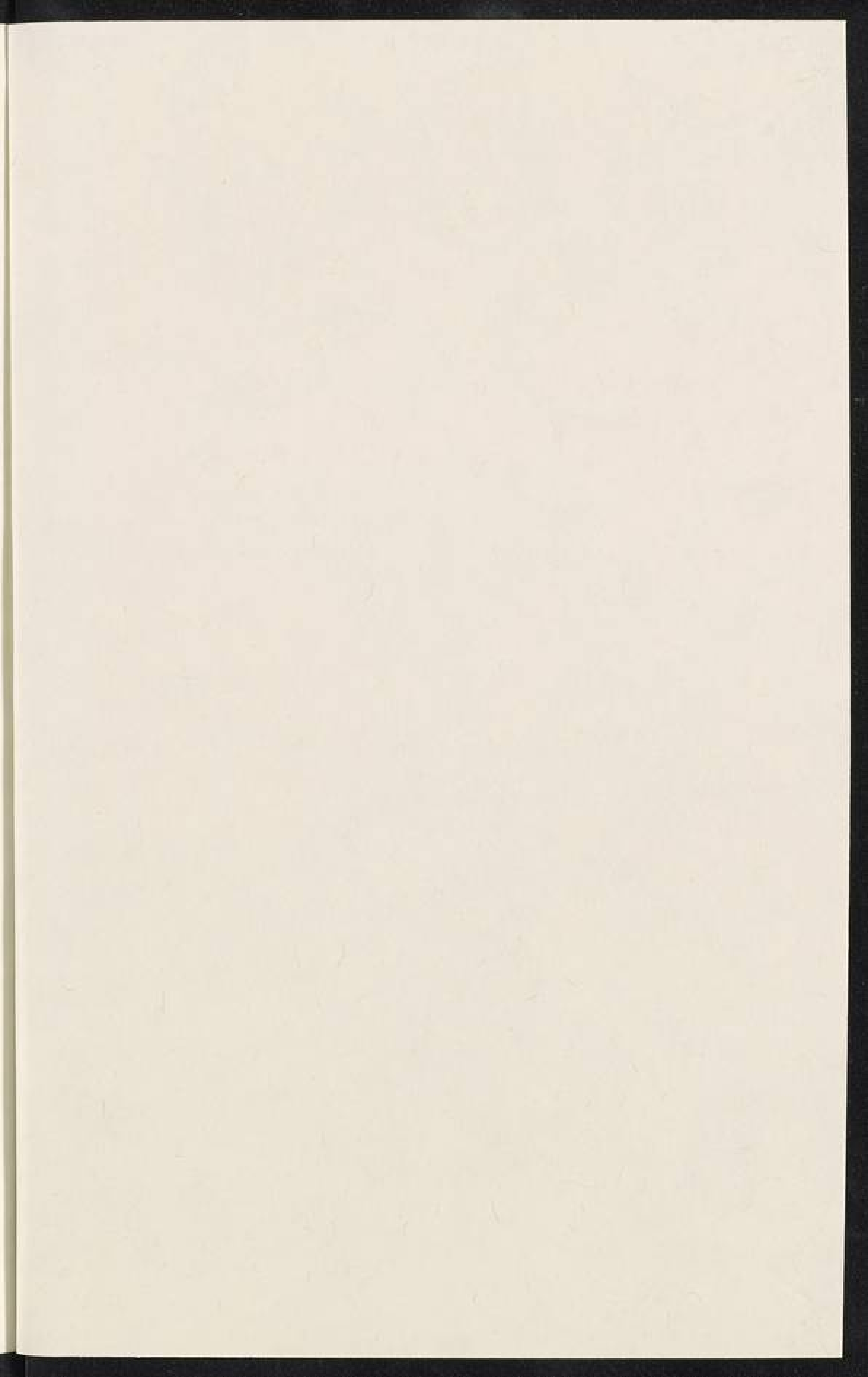
صحيفة

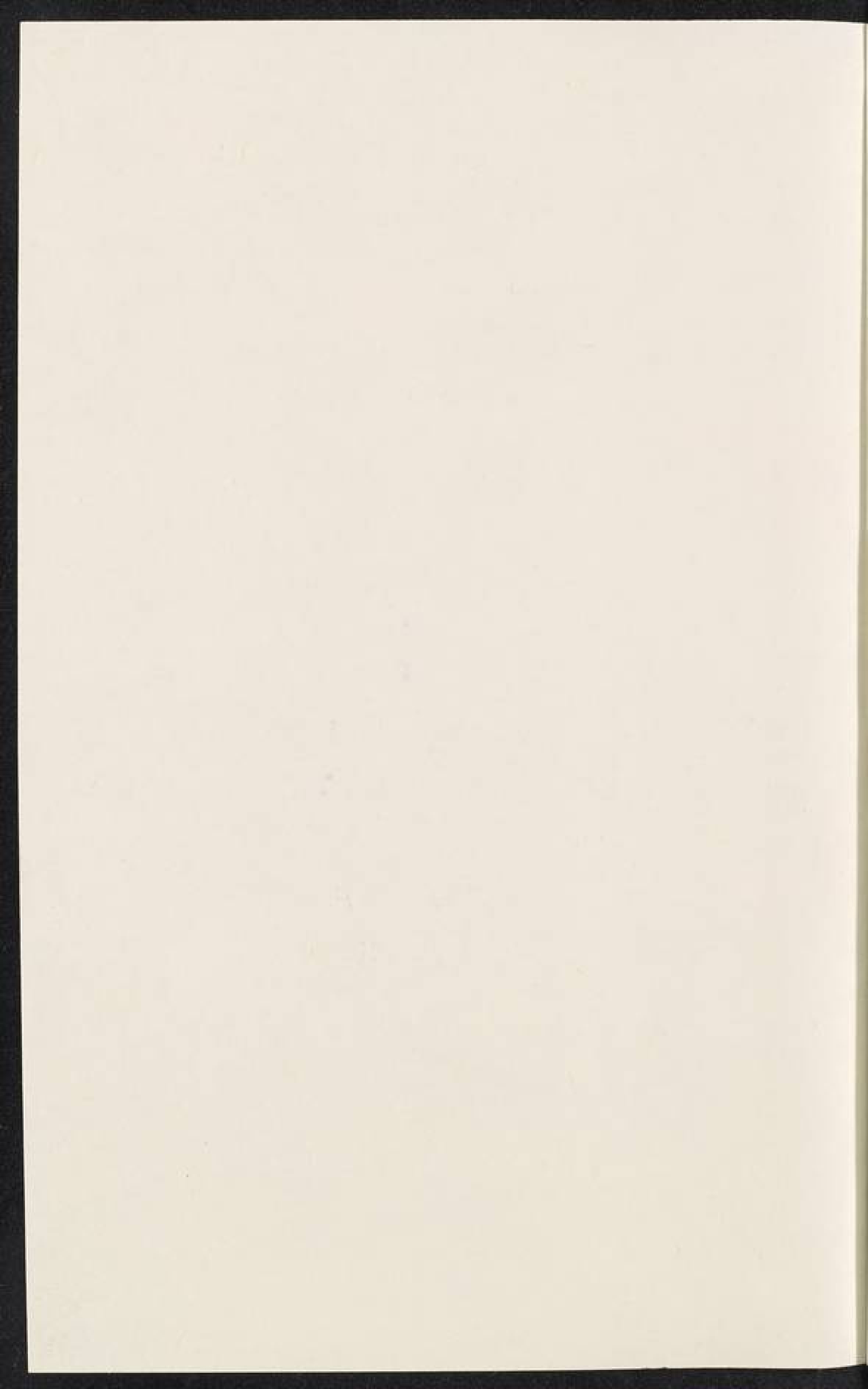
جدول الخطأ وصوابه

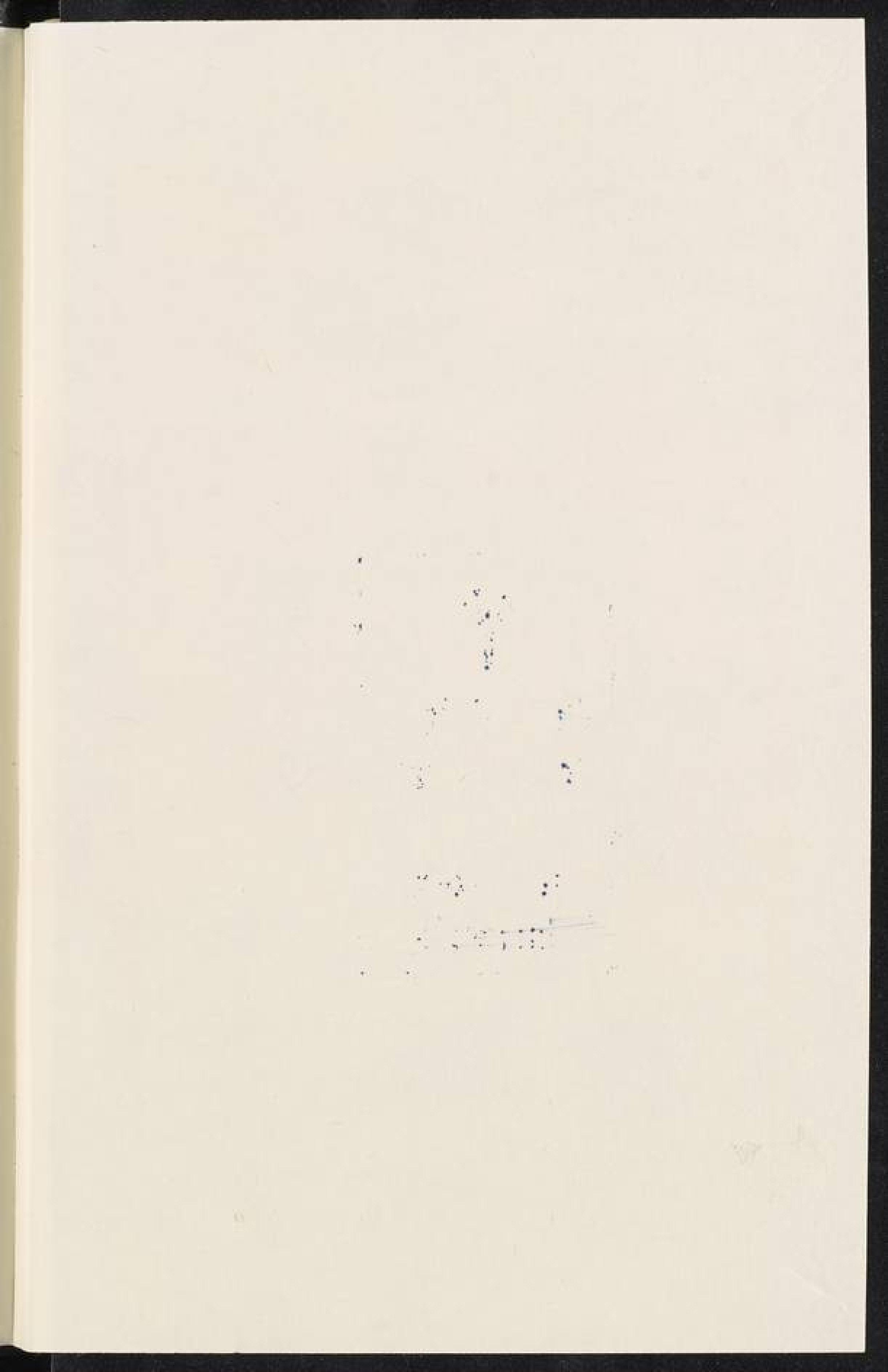
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١٠	برزتم	برزتم
١٧	١٦	فلما كثروا	فلما كثروا وانتشروا
٣٠	١٤	وكانوا	وكانوا وقتئذ
٣٠	١٧	مارجع	مارجع السهم
٣١	١٥	تطلبونا	تطلبوننا
٣٦	١٦	بجنتهم	بجنتيهم
٤٧	٩	وحجابا	فحجابا
٤٩	٩	تحالفها	تحالفا
٥٠	١٠	تجره	يجره
٦٢	٩	وشئون	وشؤون
٨٦	٣	بشروالها	بشرواها
٩٩	٢	ألالك	أولالك
١١٠	٢	الفرّانق	الفرَانق
١٢٣	٩	يمدح قوله	قوله يمدح
١٤٠	٢١	والجمع عنترة	والجمع عنتر














Bookkeeper
Deacidification for Libraries and Archives
July 2009

